أمرأة بألف وجه

نهى إبراهيم

أمرأه بألف وجه
نهى إبراهيم
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2018/2858
ترقيم دولي: 978-977-6594-33-3

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

إمرأة بألف وجه

نهى إبراهيم

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء إلى

من يحملهم قلبي ويخفق نحوهم فرحًا وحزنًا،
أولئك الذين تربطني بهم مودة وعشرة .
ثم إلى تلك اللحظة التي حولت حياتي لأخرى مختلفة،
وأخيرًا إلى كل امرأة تتعايش، تعاني، تجتهد، تحب،
تكافح، أهديكِ تلك المجموعة لعلها تعبر عن شعور
واحد لأي امرأة بهذا الكون .

نهى إبراهيم

ذات الوشاح الرمادي

اعتدلت الدكتورة ريهام بجلستها بشرفة منزل والدتها، بعد عودتها من الخارج وحصولها على الدكتوراة في الإرشاد النفسي، أحضرت والدتها كوب من الشاي الدافئ، تتصاعد منه الأبخرة؛ فهي تحبه حار جدًا، أخذت والدتها تتحدث إليها عن أخبار القرية وأهلها، وعن زواج تلك وطلاق الأخرى، حتى كادت رأسها تضج من ذلك الهراء، فحاولت التهرب لثواني ألقت بصرها بعيدًا على المارة أمامها، فالتقطت عدسات عينيها امرأة بعباءة سوداء واسعة، مرتدية حجاب مخالف اللون متلحفة بوشاح "شال" رمادي اللون، وكانت مجمعة طرفي الشال حول جسدها، لفتت نظرها تلك المرأة، وعندما رأت الأم انشغالها بتلك السيدة بدأت تقص حكايتها: آه أنت بتبصى على دي، دي سامية بنت الحاج ربيع . فسألتها ريهام: دي عندها كام سنة؟ شكلها مش كبير أوى . فقالت: عندها يجى أربعين سنة أو أكتر، بس يا حبيبتي غلبانة . فتفاعلت الدكتورة ريهام: ليه مالها يا أمي؟، فردت وهي تحرك فمها بطريقة غريبة ومعها يديها الاثنين: غلبانة متجوزتش لحد دلوقتى . فقالت: عشان كده بتقولى غلبانة؟ فقالت لها: آه يا دكتورة امال ايه، متجوزتش وعدت الأربعين، ده مش غلب يا حبيبتي! فقالت لها وقد اندمجت بموضوع النقاش: يعني أنا لو متجوزتش ووصلت زيها، تقولوا عليَّ غلبانة وتتكلموا عليَّ كده؟! فقاطعتها والدتها قبل أن تكمل وهي عاقدة حاجبيها: بعيد الشر عنك يا دكتورة، أنت برضو ممكن يحصل لك كده! ده أنت الدكتورة ريهام القمر . فابتسمت ريهام لوالدتها ثم أكملت: بس ايه السبب إنها متجوزتش؟ مع إني شيفاها يعني لا بأس بها . فتعجبت والدتها: ايه يعني ايه؟ فقالت وهي تضحك: يعني حلوة يا أمي مش وحشة ولا حاجة . فقالت لها: آه يا بنتي حلوة زي ما أنت شايفة، وكانت أجمل كمان، بس بترفض كتير، شكلها كده حد عملها حاجة . فقالت الدكتورة بدهشة: عملها حاجة ايه

يعني؟ ايه قصدك؟ فردت والدتها: يعني عملها عمل . فأخذت ريهام تضحك بصوتٍ عالٍ حتى ضحكت والدتها على ضحكها، وانتهت تلك المناقشة على تلك الكلمات .

بصباح اليوم التالي استيقظت ريهام على أصوات الدجاج، الذي لم تعد معتادة على صوته على الرغم من تربيتها طوال سنين عمرها بذلك الريف الذي كانت تعشقه بكل تفاصيله، وبحلول وقت الظهيرة عادت للشرفة مجددًا وبدأت في احتساء كوب الشاي المفضل بالنسبة لها، حتى مرت تلك المرأة مجددًا وانصرفت سريعًا، فقامت ريهام من مقعدها باحثة عنها، ثم جلست محدثة نفسها: الست دي شداني بطريقة غريبة كده ليه؟ بس هي برضو لابسة نفس الشال الرمادي ده، وكل الحاجات دي لها مدلول نفسي، يا ترى عشان كده أنا مشدودة لها كحالة قدامي، وخصوصًا بعد اللي سمعته من أمي . قاطعت والدتها حوارها مع نفسها، ثم بدأت معها حوار جديد: عايزاني أعملك ايه على الغدا يا حبيبتي؟ فقالت لها: أي حاجة يا أمي من ايدك نعمة، كنت السنين اللي فاتت هموت على أكلك وريحته . فقالت لها: عنيا ليكى يا روح قلبي . فمرت سيدة الوشاح فأسرعت الدكتورة محدث والدتها: الست اهه تاني . فقالت: آه ما هي بتعدى من هنا، بتشتري حاجات من المحل اللي جنبنا . فقالت لها: ومفيش حد يشتريها لها؟ فقالت لها: لا أمها وأبوها ماتوا، وأخوها الوحيد متجوز بس مسافر اليومين دول، هو اللي كان بيقضي لها طلباتها . فأكملت الدكتورة تساؤلاتها: بس غريبة الست دي دايما بالشال ده . فردت والدتها مبتسمة: آه يا بنتي فعلا دايما مش بتغيره، مع إنهم مبسوطين وهي بتغير في العبايات، بس الشال عمري مشفتها من غيره . ثم سألتها ريهام: هي متعلمة دي؟ فقالت: أيوة متعلمة معاها كلية باين . فصمتت ريهام مكتفية بتلك المعلومات التي تحصلت عليها لتلك الحالة المختلفة التي جذبتها .

خرجت ريهام بالمساء لزيارة أحد أقاربها، وظلت تتفحص بالوجوه وكأنها ترى بشر لأول مرة، رجال بالجلباب وشباب على أكثر من شكل ولون، وسيدات بالعباءات السوداء والخمر الفضفاضة، طرقت أذنها كلمات أهل ريفها، فتلك

الطريقة في الحوار كم تعطشت لسماعها، حتى اصطدمت عيناها فجأة بذات الوشاح الرمادي، وعندما أمعنت النظر وجدت صاحبته بشرفة أحد المنازل، وهي بحالة من الشرود، توقفت ريهام أمامها ناظرة متفحصة وجهها المستدير، عينيها الواسعتين، حتى فمها الصغير الرقيق، كم هي جميلة ذات الوشاح الرمادي، لكنها أيضًا متلحفة بنفس الوشاح، وكأنها تحتضن نفسها، طالت مدة شرود ريهام حتى انتبهت السيدة محدثة إياها: في حاجة يا آنسة؟ فانتبهت الدكتورة: ها، حضرتك بتكلمينى أنا؟ فردت عليها بصوت جميل: أيوة كنتى عايزة حاجة مني؟ فقالت لها: لا، لا أبدًا . واقتربت من الشرفة أكثر ثم أكملت: أنا بس لفت نظري جمال حضرتك، بجد أنت جميلة أوى . فابتسمت لها بعينها الساحرة: شكرًا يا حبيبتي، فكرتك بجد بتشبهي عليا أو محتاجة حاجة؟ فردت ريهام باقتضاب: لا شكرًا جزيلًا . ثم انصرفت وهي تحدث نفسها بجمال تلك السيدة، حتى ذلك الوشاح هو جميل أيضًا . وفي صباح اليوم التالي كانت الدكتورة بانتظار نفس السيدة، وبالفعل لمحتها عينها فنادتها من بعيد، وعندما رأتها سامية ابتسمت واقتربت نحوها وهنا دخلت والدتها فتحدثت: سامية ازيك يا حبيبتي؟ عاملة ايه؟ فردت: الحمد لله يا خالة، دي بنتك؟ فقالت لها: آه بنتي الدكتورة ريهام . وهنا تدخلت ريهام: تعالي اقعدي معانا . فوافقت على الفور: وحضرتك دكتورة في ايه؟ فقالت لها: في الإرشاد النفسي . فقالت لها: إرشاد نفسي يعني ايه؟ فقالت لها: يعني لو حد عنده مشكلة أو محتاج مشورة نفسية بيجي عندنا نساعده، وبيخرج من أزمته بإذن الله، بس أنا هدرس في الجامعة إن شاء الله . وهنا تحولت معالم وجهها ثم اعتذرت، وقامت مسرعة محتضنة وشاحها، ولم تبال بأي نداء من الدكتورة، أحضرت ريهام أوراقها وقلمها، واعتبرتها حالة للدراسة، واستمرت بتدوين ملاحظاتها حتى نادتها والدتها لتناول الطعام، وبالمساء كانت ريهام أمام بيتها، وعندما قرعت الباب فتحته على الفور، جلستا أمام بعضهما البعض واكتفيت كل منهما بالنظر للأخرى التي حملت كل منهما بها رسائل ورسائل: ممكن يوم من الأيام أكون كده زيها وحيدة من غير لا بيت ولا زوج؟ بينما تمتمت الأخرى: دكتورة بالجامعة فكرتيني . واستمر شرود كل

منهما حتى بدأت الدكتورة: أنا جيت أشوفك لأنك مشيت فجأة آخر مرة . فردت وهي تنظر وعلى وجهها ترتسم نظرة الحرج: آه أنا آسفة بس . وتوقفت عن الحوار حتى بادرتها ريهام: بس ايه؟ فهمت بالانصراف مجددًا، فأمسكت ذراعها: أنا عايزة أقول لك حاجة يا سامية، أنا بجد اتشديت لك من أول يوم شفتك، بس حاسة جواكى كتير، فيا ريت تعتبريني صديقة تفضفضي معاها . فجلست سامية مجددًا وهي تصغي لكلمات ريهام الحانية: أنت وحيدة في الدنيا بس زي ما أمي قالت لي باختيارك . وحاولت أن ترسم الابتسامة على وجهها فأكملت: أنت عارفة أكتر حاجة شدتني ليكى الشال اللي أنت لبساه، وطريقة لبسك ليه، وفوجئت إنك كمان لبساه في البيت، تعرفي كل ده له تفسير . فوقفت سامية مكانها وعلامات الحزم على تقاسيمها: الزيارة انتهت يا دكتورة، كفاية لحد كده، أنا مش مريضة ولا حالة هتدرسيها كفاية كده . وأشارت بيدها لكي تنصرف، وبالفعل شعرت ريهام بحرج كبير؛ فخرجت مسرعة لبيتها في حين جلست سامية تبكي بحرارة .

انفردت ريهام بحجرتها مؤكدة أن هناك سر وراء تلك الفتاة، وكلمة السر هي ذلك الوشاح الذي تتلحف به حتى بالبيت، حاولت ريهام إخراج حالة سامية من مخيلتها، خاصة بعدما قامت به معها، لكن الدكتورة بشخصيتها جلست تكتب مذكراتها عن تلك الفتاة من اليوم الأول، حتى خروجها من بيتها، واستطردت بتلك الدراسة ليومين، حتى فوجئت بسامية وهي تدخل عليها شرفتها معتذرة: أنا آسفة بجد عن اللي بدر مني أنت متستهليش غير كل خير، بس غصب عني . فردت ريهام: ليه غصب عنك؟ متخافيش واقعدي، اتكلمي براحتك . فقالت: لو هتكلم مش ينفع هنا تعالي البيت عندي وهتكلم بجد من قلبي . فوافقت ريهام على الفور، وبالمساء كانتا على موعد وبدأت سامية: تفتكري أول مرة يوم أما مشيت وسبتك أنت ومامتك؟ فقالت: آه . فأكملت: كنت بتقولي جامعة وتدريس، افتكرت لما كنت بالجامعة، ورحت مدينة بالقاهرة . فتابعت ريهام: آه ماشي كملي . فنظرت بارتباك ثم استفاضت: أنت الوحيدة اللي حاولت تتكلمي معايا، أنا فعلا مخنوقة ومضايقة ووحيدة . فردت: اه بس أنت اللي بترفضي .

فابتسمت: آه برفض كل العرسان، أكمل لك كنت بالجامعة هناك، وكنت بدرس في كلية التربية، كان نفسي أوى أكون مدرسة، وكنت مرتبطة بشاب زميلي، كان جميل . وهنا وضعت يدها على وشاحها وظلت تحرك أصابعها برقة لاحظتها ريهام: كنا في سنة تالتة وفاضل سنة ونخلص، كان نفسه نتخطب في الكلية، بس أنا قلت له بعد ما نخلص نبقى نتفق، كانت الحياة وردية بالنسبة لي، وكان هو كل حاجة عندي، حبيب وصديق حتى أخ، لحد يوم . وهنا توقفت: كملي يا سامية . فأكملت بعين دامعة: كنت خرجت أجيب حاجة من برا المدينة، وكان الوقت يعني بعد العشا كده، كان في طريق كبير وطويل فاصل بين المدينة والمحلات القريبة، وكان الطريق ده كله شجر، أنا كنت قايلة لزميلي ده أني هنزل، وفجأة وأنا ماشية اعترض طريقي واحد، متعرفيش شارب ولا ايه، مكانش طبيعي، حاولت أهرب منه معرفتش، لحد مكتفني، كنت بصرخ . وهنا قامت وظلت تتحرك وهي تتحدث: صرخت بصوت عالي، بس هو كتف لي ايدي، صوتي راح وأنا بستنجد بأي حد، لحد ما جه مصطفى ونزل ضرب فيه، فسابني وقام يضربه، مصطفى ضربه . وهنا علا صوتها: ضربه وقعه، فك ايدى وقال لي امشي، اجري بسرعة، قلت له أمشي ازاي واسيبك، مقدرش . كان الحيوان قايم وهو دايخ، مصطفى زقني بعيد فجريت شوية بعيد عنهم، ووقفت أستناه من بعيد، فضلوا يضربوا فبعض وفالاخر جاب غصن شجرة وضربه على رأس مصطفى، اتهبلت طبعًا، هو هرب رجعت جرى عليه لقيته سايح في دمه، بقيت أصرخ اسعاف اسعاف لكن كان انتهى، كان مصطفى منتهي .

أخذت تبكي بحرقة، ثم أكملت بعيون محمرة جريحة: عمري ما نسيته ولو للحظة، ولا وافقت أتجوز عشان هو حب عمري . فردت ريهام: حاجة تحزن بجد، بس عدى فترة طويلة وكان ممكن . وهنا قاطعتها: الجواز ده مش تقضية واجب ولازم نعمله وخلاص، دا لازم يكون طالع من هنا . وأشارت على قلبها، وأتبعت: وقلبي اتقفل على مصطفى، صدقي يا دكتورة، في الحب ممكن تحبي ميت واحد ولا يفرق، بس ممكن تحبي مرة واحدة وتكون هي الفارقة وهي دي حكايتي . فقالت لها ريهام: فعلا عندك حق، أنت إنسانة مخلصة فعلا يا

سامية . وهمت بالانصراف بعدما تقطع قلبها من كلمات سامية حتى قاربت باب المنزل فسألت: آه صحيح، بس الشال اللي أنت لبساه على طول؟ فردت وهي تحتضن الشال مجددًا: شال مصطفى غطانى بيه يوم الحادثة .
فودعتها ريهام مبتسمة، كم هي فتاة محبة ارتضت على نفسها الوحدة حتى لا تأنس سوى بحبه فقط .
وظلت تتساءل: ايه الحب ده؟ فعلا غريب!!

دائرة الشك

علت نغمة الهاتف فالتقطته هالة لجيب: أيوة يا رشا الحمد لهل، حبيبتي النهارده أحسن . وصمتت قليلًا ثم قالت: لأ مرجعش من امبارح، ومتصلش . وصمتت لثانية ثم قالت: مش عارفة ده أعمله ايه، خلاص مفيش حل معاه، صبرت عليه بما فيه الكفاية .

وبعدها بدقائق أغلقت الهاتف على صوت الباب وهو يفتح: أنت جيت يا عبد . فرد عليها: آه جيت، مكنتيش عايزانى آجى ولا ايه؟ فردت عليه وقد بدأت تستشيط غضبًا منه: مش عايزاك تيجى ليه؟ هكون مش عاوزاك تيجى ليه؟ بص وقل لي . فقال لها: معرفش يمكن تكونى ارتاحتى مني وعايزة تاخدى راحتك . فاحمر وجهها وبرزت عيناها وهي ترد: لا ده أنت اتجننت خلاص، كلامك ده مش هقبله، والمرة دي أنا اللي همشى وأروح لاهلى، مدام انك راجل . فقاطعها: ما أنا قلت لك عايزة كده، تموتى فالمشى، واهلك وغير أهلك . فردت عليه محاولة الإمساك بدمعتها: أنت مجنون، مش طبيعي وأنا اللي استاهل اللي صبرت كل ده .

بحلول الخامسة كانت ممسكة بحقيبتها، وهنا أمسك ذراعها محاولًا إثنائها عن قرارها: ماتمشيش يا هالة، أنا آسف . فردت عليه ودموعها بدأت بالانهمار: كل مرة تموتنى بكلام زي السم وتقول لي آسف، يعني ايه كلمة آسف وأنت بتطعنى في كل حتة في جسمي، كل لحظة بشوفك فيها وكل ذنبي في ده كله انى حبيتك يوم من الأيام . فخرجت دموعه هو الآخر ليرد: والله ماهكررها تانى، غصب عني بحبك وبغير عليكى حتى من الهواء . فردت وهي تمسح دموعها: مفيش كده، مفيش حب مع اللي بتعمله، ومين قال لك ان دي غيرة، أنت مريض أنت إنسان مريض، فاهم؟ فهاجمته كلمة مريض بقوة حتى صفعها على وجهها، فخرجت مسرعة لخارج المنزل في حين سقط هو على الأريكة منهمرًا في البكاء .

"بحبها بجد، بس للأسف مفمتش حبي، أو أنا اللي اتصرفت غلط، بس ايه الغلط فالى بعمله، هي أكيد مش فاهمة" .
كلمات تمتم بها مع حاله، لكنه لم يهدأ على الرغم من تركها المنزل لعدة ليالٍ، إلا أنه عاد لطريقته المعتادة، وأثناء مضيها لعملها في الصباح كان هو يتتبعها في صمت، لكنها لم تلحظه، وفي طريق عودتها كان على موعده، نظراته ليست نظرات المحب لحبيبته الغائبة، بينما كانت نظرات المتربص لفريسته بأي لحظة، وبينما كانت ترتاد التاكسي لمحته يتلصص من بعيد؛ فتراجعت متجهة نحوه، حاول التنصل لكنها أوقفته: ها يا أستاذ، لقيت حاجة ولا لسه؟ فرد عليها مستعطفًا إياها: أنا مش بدور على حاجة يا حبيبتي، أنت وحشتيني، وحشتيني بجد وكل يوم بقف أشوفك من بعيد، شايفة شكلي عامل ازاي؟ لا بنام ولا عارف أعيش من غيرك . فتأثرت قليلًا ثم عاودت التحدث: لا لا، أرجع ويوم والتانى ترجع لعادتك في الغيرة المميتة، ورايح جاي تسأل الناس لما كسفتنى قدام الكل . فقاطعها راجيًا إياها: خلاص آخر فرصة اديهانى، وأنا هتغير وحياتك عندي . فوافقت على العودة، فتهللت أساريره ورافقها لبيت والدها حتى تحضر حقيبتها، لتختلي بها أختها: أنت هترجعى تانى؟! فصمتت هالة: أنا يا حبيبتي المرة دي اللي هقول لك مترجعيش . فردت هالة في هدوء: ليه يا رشا يمكن يتغير بدل ما نتطلق وانتى عارفة الانفصال مش حاجة سهلة . فحاولت رشا تغيير وجهتها: طلاق ومش سهل ليه صعب؟ أنت ربنا مرزقكيش باولاد منه وله حكمة في كده، وعندك شغلك يمكن ربنا يعوضك بحد أحسن منه . فعادت هالة تمسك حقيبتها مودعة أختها: يلا يا رشا ادعي لي ربنا يوفقنى ويهديه ربنا . بعدها بساعات كانت هالة بالمطبخ وعندما دخلت غرفة النوم وجدته يتفحص ملابسها فضحكت :في ايه يا عبد، الهدوم كانت وحشاك ولا ايه؟ فنفضها بيده بسرعة ثم ابتسم متجاوزًا ارتباكه: آه طبعًا يا حبيبتي امال ايه، ده أنا كنت بتمنى أشم ولو ريحتك .
فابتسمت له: ربنا يهديك يا رب .
في صباح اليوم التالي كان برفقتها لعملها، ثم انصرف ملقيًا نظراته يمينًا ويسارًا،

استمرت بعملها بعدها بساعتين دخل ذلك الموظف الجديد "هاني"، والذي تعرف بالجميع وطلب مدير المصلحة من هالة تدريبه على عمله الجديد، وبالفعل استجابت هالة لطلبه، وكانت تلك مهمتها الجديدة، أخذت تشرح له حتى مرت الساعات وحل موعد الانصراف، فوجئت بزوجها يقف على باب الحجرة ناظرًا بغضب: ها يا مدام خلصت ولا لسه؟ فقامت منزعجة حتى لحظها هاني: في ايه ده موظف جديد والمدير طلب مني أشرح له الشغل متفضحنيش قدامه أبوس ايدك كفاية التانيين . أخذ هاني يتابع الموقف وكيف كانت حركة يديها تصحبها رعشة، وكيف كانت تخفض صوتها حتى أنهت هي تفكيره بتوديعها إياه منصرفة مع زوجها .

ليدخل أحد الموظفين الآخرين فيقول: هو جه؟ فقال هاني: مين ده جوزها؟ فرد عليه: أيوة يا سيدي جوزها، بس ايه خانق المسكينة خنقة غيرة بطريقة مش طبيعية، مع أنها إنسانة محترمة وبتتعامل بكل احترام في حياتها، بس الراجل ده تعبها . فرد هاني وهو يقوم من مكانه: ربنا يهدي .

في صباح اليوم التالي كانت هالة على موعد مع هاني لتكملة سير العمل، وبمنتصف اليوم لاحظ شرود بعينيها: أنت تعبانة ولا حاجة؟ فقالت: لا لا، يمكن ارهاق شوية . وابتسمت ابتسامتها الجميلة فابتسم هو الآخر ثم تابع: لو تعبانة ناخد بريك شوية من الشغل . فقالت: أوك نوقف ربع ساعة كده فعلا رأسي لفت .

توقفا عن الحديث لبرهة حتى فتح هو الحوار: حضرتك خريجة كام؟ فقالت له: تجارة ٢٠٠٥ . فقال لها: أنا كمان نفس السنة . فابتسمت مجددًا: يعني زمايل، بس أنا عمري ما شفتك . فقال لها: ما هو أنا مش من هنا، أنا من اسكندرية واتنقلت أعيش بالقاهرة . فقالت متعجبة وهي تمسك بقلمها وتحركه على الورق أمامها في حركة دائرية: ليه سبت اسكندرية؟ بلد جميلة . فقال لها وقد بدا الحزن يرتسم على وجهه: حصل لي ظرف كده، فسبت اسكندرية واستقريت هنا في مصر .

بدأت تنظر حولها في ريبة: مالك في ايه؟ فقالت: ها بتقول ايه؟ فعاد يكرر:

بتبصى حواليكى ليه؟ فقالت وقد شردت ملامحها للحظات: لأ مفيش . ثم نظرت بساعتها: نكمل شغل بقى عشان نخلص؟ فقال لها: أوك نكمل .
أخذت تشرح له بعجالة وهي تنظر بساعتها حتى قامت مندفعة: نكمل بكرة معاد الانصراف همشى بقى . لم تنتظر حتى يودعها، لكنه أخذ يتابعها، خرجت مسرعة ثم توقفت أمام المصلحة ناظرة حولها بكل مكان، حتى لمحته ينظر إليها من بعيد استوقفتها نظرته لها حتى صعقها زوجها بصوته: ايه ده خارجة بدرى النهاردة؟ فقالت وهي تحاول جلب الابتسامة: خلصنا قلت أطلع أستناك . فقال لها: عملت خير، أصلى مش بطيق زمايلك دول في المصلحة . فقالت له: ليه ده كلهم طيبين؟! فقال لها مزمجرًا: وانتى تعرفيهم منين إلا في الشغل . فقالت: دول زمايلى لسنين مش أعرفهم ازاي؟! فقال لها: آه يبقى بتفتحى مسير معاهم، ما انتى الست الوحيدة في الاوضة، بس مش الحق عليهم . فقاطعته وهي تسحب ذراعها منه: لا لا اسكت بقى أنت فظيع . فصمت طوال الطريق حتى عادا المنزل دخلت تحضر الطعام وجلسا يتناولان الغداء في صمت كبير، حتى فرغا من الطعام وذهبت لتنظف الأواني بالمطبخ، وأثناء حركتها بالمنزل لاحظت حركة يده بحقيبتها، وهو يفتش بأغراضها حتى وصل لهاتفها، فتوقفت ناظرة باهتمام لتجده يطيل البحث بالهاتف، ثم وضعه بالحقيبة بدون صوت، فصاحت به: أنت بتدور في التليفون كده ليه؟ هو فيه ايه؟ اللي فيه مرض مبيبطلش . فأمسكها من شعرها بقوة ثم تركها عندما رأى نظرة عينها المرتعبة، ثم رد غاضبًا: بطلى تقولى مريض مريض أنا بس مبحبش حد يضحك عليا . فتركته يغادر المنزل دون رد منها، ثم ارتمت على الأريكة أمامها باكية عدم استقرارها بحياتها معه، متأكدة من وجود نهاية بالقريب، لكن قلبها أخذ يدق بخوف كلما شعرت بذلك: ايه الشعور ده؟ قلبي وجعنى ليه كده؟ طبعا مش زعل عشانه، أنا خلاص حبى ليه انتهى من تانى يوم عشته معاه، انما القشعريرة اللي جوايا دي من ايه؟ ربنا يستر .
في صباح اليوم التالي وصلت مكتبها لتجد هاني يستقبلها بابتسامة جميلة، فقامت برد الابتسامة برقة ثم بدآ بعملهما حتى توالت الساعات وهما منخرطان بأوراق

كثيرة ينبغي على هاني أن يلم بها، سرقتها الساعات حتى فوجئت بضربات قوية على باب المكتب، صعق كلاهما ناظرين إليه، ليسرع تجاهها ممسكًا يدها بعنف حتى لاحظ هاني تلك العبرة الخجلة بعينها؛ فانتفض من مقعده ممسكًا يده التي قست على ذراعها: أنت بتعمل ايه؟ فقال له: وانت مالك؟ دي مراتى أمسكها زي ما أنا عايز . فقال له: عيب كده يا أستاذ مش قدام الناس، والمكتب زي ما أنت شايف . فرد عليه: أنت هتعلمنى أعامل مراتى ازاي؟ أنت مالك؟ ملكش حق تتكلم . انسابت دموع عينيها فانهارت أعصاب هاني والتحم معه حتى تركها تخرج مسرعة خارج المكتب لكن زوجها سرعان ما لحقها، وبالبيت كانت المشاجرة: أنت عملالي غراميات وسي روميو محروق أوى عشانك . لم تجبه واتجهت صوب حجرتها، فأمسك بملابسها محولًا وجهها تجاهه: ما تردي يا زبالة يا واطية . فقالت له وقد بدا على نبراتها الاختناق: طلقني . ثم عادت لتكررها بقوة: طلقني وكفاية بهدلة . فضحك بطريقة هيستيرية أخافتها: طلاق مين يا روحي عشان تجري تتجوزي روميو بتاعك، أنا مش هطلقك . واتجه صوب حقيبتها وأكمل: وكل حاجتك معايا وهقفل عليكى، مفيش خروج بعد كده ولما أشوف هتتلمى ولا لأ .

خرج من المنزل فاتجهت للباب وظلت تدق عليه بقوة مرددة: طلقني يا حيوان، أنت مريض، ودى غلطتي أنى رجعت لك تانى دي غلطتي . استمرت تهذي حتى سقطت على الأرض مغشيًا عليها، ومرت الساعات إلى أن عاد زوجها للمنزل مجددًا، وعندما وجدها هكذا حملها لغرفتها وأفاقها، ثم أغلق عليها الباب مجددًا لتعود الدموع تنساب، ولكن هذه المرة بغزارة على ذلك الزواج غير السعيد، بل تخطى ذلك إلى درجات حتى لا تدري لها معنى ولا نهاية .

أصابته حالة من القلق وظل يفكر ويفكر، وبالصباح فتح باب حجرتها ممسكًا بفطور لها وكوب عصير، لكنها رفضت أن تتناول شيئًا، فغضب وخرج ثم عاد للحجرة مجددًا: خلاص افطرى وأنا هنفذ لك كل اللي أنت عايزاه خلاص . فشعرت بشيء من الارتياح بعد كلماته، وكذلك العطش فارتشفت من الكوب أمامها، في حين خرج هو يهذي بالشارع حتى علا صوته: أنا بحبها مش عايزة

تفهم ليه إني بحبها وكل غيرتي وكل عصبيتي عشان بحبها وبموت فيها . صار وجهه يتصبب عرقًا حينما تجسد وجهها أمامه: ازاي أطلقها أو حتى أبعد عنها، أنا مقدرش . وهنا انتابته رعشة بأصابعه حتى بكلماته: أنا هرجع لها، وهعيط لها تسامحنى، بس متسبنيش لا متسبنيش . وبينما هو يسرع للخلف كان تلك العربة المحملة بالبضائع تلتقطه ثم ترديه كجثة هامدة على الطريق .

"هي مدام هالة مجتش ولا ايه؟" سأل هاني زميله بالغرفة فرد: لأ مجتش، شكلها مش هتيجى النهاردة، هتيجى ازاي يا بني بعد الفضيحة امبارح؟ جوزها ده دايما فاضحها كده . فانتابته حالة من القلق، وجلس يفكر والريبة تملكته بأمرها، مرت دقائق قليلة ثم بادر الموظف أمامه: معاك عنوانها نسأل عليها أو تليفونها؟ فقال له: لا عنوانها ولا تليفونها، كانت بتخاف يا عيني حتى مرة جوزها غير لها الخط بتاعها لما لقانا بنكلمها على البيت . فقال: وبعدين؟ فرد عليه الموظف: مالك قلقان ليه؟ ان شاء الله تكون بخير، بس تلاقيها مكسوفة بس مننا مع اننا اتعودنا على كده . فقال له: ولا أي حد هنا عارف عنوانها؟ فقال له بعد تفكير: استنى لقتها، معايا عنوان بيت باباها هو معانا هنا في أوراق ملفها انما . فقاطعه: طيب طلعه بسرعة كده . وفي غضون دقائق كان أمام منزل والدها: سلام عليكم . فردت رشا: وعليكم السلام خير يا فندم؟ فرد هاني: أنا زميل أستاذة هالة بالشغل هي مجتش النهاردة، وكنا بس عايزين نطمن عليها، ومفيش حد هناك معاه تليفونها . فقالت بخوف: ماجتش؟ كمان أنا من بالليل بحاول أكلمها بس مقفول، خير أنت قلقتنى . فقال لها: طيب حضرتك ممكن تيجي معايا على بيتها، وبالطريق أحكي لحضرتك اللي حصل . فخرجت مسرعة معه وعندما وصلت لمنزل هالة ظلت تدق لكن أحد لا يرد والباب مغلق عليها، طلب هاني البواب حتى يفتح باب الشقة وبالفعل دخلت رشا بينما وقف هاني بالخارج منتظرًا إياها حتى وصلته صرخاتها؛ فدخل مسرعًا: الحقنى أختي مبتنطقش . فقال لها: بسرعة على المستشفى . حملها مسرعًا لأقرب مستشفى، وعندما رآها الطبيب أخبرهما أنها حالة تسمم حاد، أخذت رشا تدعو لأختها بالشفاء، بينما ظلت نظرات هاني مرتكزة على هالة، تلك المخلوقة الضعيفة

ذات العين البريئة، كيف تكون حياتها بهذا السوء! ليخرج الطبيب: الحمد لله قدرنا ننظف معدتها خصوصًا إنه مكانش كتير وانتوا لحقتوها بسرعة . فقال هاني مهللًا: الحمد لله، الحمد لله ربنا كبير .

أسرعت رشا نحوها بينما توقفت خطوات هاني عند باب الحجرة، لتحتضن أختها مرددة: عبد هو اللي حطلى السم ونزل، تصدقى كان عايز يموتنى يموتنى . فاحتضنتها مجددًا: لولا أنت كنت مت . فقال وهي تبتسم: لولا الأستاذ . وأشارت إلى هاني، فابتسمت هالة متعجبة: جه البيت وسأل عليكى، وصمم نروح البيت عندك . نادته رشا ليدخل: حمد لله على سلامتك . فقالت له شاكية برقة: مسكني وقفل عليا الأبواب، وكان هيموتنى عشان قلت له طلقني . ثم بكت: تعبت معاه وعذبنى أوى يا هاني . فوضع يده على مسافة قريبة من فمها: شوش كفاية، متتكلميش أنا عايزك تحمدي ربنا وإن شاء الله كل حاجة هتتحل .

فوجئت رشا باتصال من قريبة لها أخبرتها بوفاة زوج أختها إثر حادث مروع على الطريق، انتفض الجميع من هول الواقعة، ثم أغمضت هالة عينها وكأنها بدأت فصول الراحة بحياتها، وبالصباح كانت بجوارها باقة جميلة من الورود، ليدخل هاني: ها أنت هتقومى ولا هتفضلى قاعدة هنا؟ فقالت له: شكرًا على الورد أستاذ هاني . فقال لها: لأ أستاذ، هزعل منك والله، قولي لي هاني بس . فابتسمت وبدأ قلبها يدق من جديد، لكنها دقات جديدة عليها قد تجلب معها الخير تلك المرة .

مشنقة الهوى

بعد قرار المحكمة بإعدام المذنبة/ سالي شريف، تساقطت دموعها بكثرة وهي تسترجع تلك اللحظة المؤلمة، التي اقترفت فيها تلك الجريمة، وسألت نفسها طويلًا هل كانت بحالة غياب عن الوعي؟ أم أنها أول مرة ترى الحقيقة بعين بصيرة؟ وبدأت التنهدات من صدرها وهم يدخلوها تلك الزنزانة المخصصة للمحكوم عليهم بالإعدام، دقائق من الصمت تلتها اعترافات قوية: أيوة قتلته مين يقول معنديش حق، ده حتى القتل بريء منه بريء منه، بس أنت مطلع يا رب وشاهد على حالي، أنا أستاهل يا رب . عند ذكر تلك الكلمة انهارت بالبكاء وسقطت أرضًا وهي تقول: يا رب مليش غيرك، يا رب مليش غيرك .

انتهت تلك الليلة بإسدالها الستار عما حدث بذلك النهار، لتستيقظ بالصباح مستقبلة أشعة الشمس بوجه عبوس كليل شتاء ممطر، مثل تلك الليلة التي قصدت بيته وهي ترتجف: محمد، محمد .

أجابها: سالي تعالي، حبيبتي ايه ده أنت بتترعشى كده ليه؟ ادخلي بسرعة .

دخلت بقدمها وكأنها وضعت قدمها ببيت من نار: ها هديتى حبيبتي خدى الجاكت ده يدفيكى .

نظرت له سالي بحب وهو يسرع لإحضار شراب دافئ لها، ثم جلسا مقابلين لبعضهما البعض:

أنا جيت النهارده لما الأمور حستها اتعقدت في البيت، ومش عارفة ايه مصير الخطوبة .

رد: يعني هما رافضين عشان مش هقدر أجيب شبكة! هعمل ايه يا سالي أنتِ شايفة حتى البيت عامل ازاي بس . هنا أمسك يدها وهو ينظر بعينها الكحيلة: أنا بحبك بجد ومش هقدر أستغنى عنك، ومش ذنبي إني فقير وأنتوا عائلة غنية مش ذنبي .

فقالت وهي تحاول تهدئته: طبعًا حبيبي مش ذنبك، بس أنا هربت منهم لما قالوا خلاص مفيش حل أنت لازم تسبيه .
فقال: وأنت رأيك ايه؟
قالت: أنا جتلك ليه؟ عشان نتفق على كلام أو حتى نشوف حل يا محمد .
ابتسم بعينه الغائرة كحياته قائلًا: يبقى اسمعي كلامي ونفذيه . ثم قام من مكانه متحركًا حولها وكأنه يحوم حول فريسته: أنت تفضلي هنا، ونتجوز ومع الأيام يتفهموا حبنا ويوافقوا في النهاية .
ترددت بردها عليه: بس يا محمد أنا مقدرش أعمل كده، أنا بحب أهلي ومش أحب انى أعمل حاجة غصب عنهم يا ريت تشوف حل تانى غير ده؟
فقال وقد بدا عليه الغضب: يبقى هتوصلينا كده لطريق مسدود، هو الكلام واضح هما عمرهم هيوافقوا، ودى حاجة أنا اتعودت عليها من يوم ما خلقني ربنا .
برزت عيناه للخارج وهو تعبر عن سخط كبير داخله: الفقر والحرمان حاجة ملازماني وبيحاسبونى على حاجات مليش ذنب فيها، أنا ايه ذنبي إنهم سابونى زمان واترميت في ملجأ، في الآخر أهرب منه بس عشان أعيش .
اقترب منها وهو لديه نفس النظرة الساخطة: أهلك زي ناس كتير قابلتها في حياتي، وكنت على طول بستغنى عنهم، انما أنت مش هستغنى عنك إلا لو أنت عايزة كده، ده كلام تانى والقرار بايدك، النهاردة هنروح للمأذون ونتجوز وهتفضلى عندي هنا .
أغرب وجهه عنها ثم تحدث بصوت منخفض: وهما اللي هيجوا لحد عندي .
دارت برأسها مناقشة سريعة مرتعبة ثم قالت: يجوز كلامك ينفع معاهم، يا رب يحصل كده، مش عايزة أخسر حد فيهم بجد . ثم توجهت إليه بغرفته بعدما تركها تفكر ليستقبلها بابتسامة الصياد واتسعت ابتسامته وهو يسمع قرارها: خلاص هنعمل زي ما قلت لي، يمكن هما يقتنعوا انك بتحبنى ويوافقوا في الاخر .
أخذها من يدها وكأنه يلتقط لقمة سائغة بعد جوع طويل، وخرجا ليعودا بعد

ساعة ومعهما تلك الأوراق التي تفيد زواجهما، دخلت غرفته لأول مرة كزوجة، ليغلق ذلك الباب عليهما بقوة وهو يشعر بلذة الانتصار، ساعات وكانت الدقات على بابه فخرج سريعًا: مين؟ مين؟

"سالي فين؟ مخبيها فين؟"

عادت تلك الابتسامة الساخرة لوجهه وهو يقول: سالي معايا هنا متخافوش .

لتقاطعه والدتها: هي فين؟ هي هنا للفجر ليه؟ عملت فيها ايه رد عليا؟

ليجيب بكل برود: بس اتجوزتها .

انطلقت تلك العبارة كطلقة نارية اتجهت صوب والديها معًا لتخرج سالي في الأخير: أنا آسفة يا مامي، آسفة يا بابي، بس أنتوا مخلتوش قدامى حل تانى، وأنا كل يوم أقولكوا بحبه وبيحبنى . أخذتها والدتها برفق من ذراعها: تحبي مين ده لا له أصل ولا فصل؟

لتنكمش الابتسامة من وجهه وهو يحاول التماسك أمام تلك الجملة التي لم يسمع غيرها طيلة عمره، فردت سالي بكل براءة: يا مامي معلش، حاولوا تفكروا تانى، احنا اتجوزنا دلوقتى، ويمكن مع الأيام تقتنعوا به .

فرد والدها وهو ينهرها بقوة: يبقى أنتِ كده اختارتى، أنتِ حرة، خليكى مع الحثالة يمكن يسعدك، ودى حاجة أنا متأكد مش يقدر عليها .

حاولت سالي اللحاق بهما لكن دون جدوى، لتقع بين أحضانه وقلبها يرتجف من الخوف هذه المرة، وكلمات والدها تراودها وكأنها دقات منبه قوية، تسابقت دوارة الليالي لتصل سالي لذلك اليوم الذي تجلس بمحاذاته: والحل يا محمد دي رابع وظيفة تسبها في شهرين، هنعمل ايه وهنعيش كده ازاي؟ أنا بعت آخر الدهب اللي كان معايا .

رد عليها بخيبة: مش عارف النحس بيطاردنى ليه؟ كل ما الدنيا تظبط معايا ترجع تدينى ظهرها، أنا حاسس بذنب فظيع من ناحيتك بس أعمل ايه؟ ثم صمت وقال: مفيش أي سكة مع أهلك؟

فقالت وهي تحاول التفهم: يعني سكة ومع أهلى ازاي؟

فقال وهو يحاول تدارك كلماته: يعني نشوف شغل لي، قصدي لينا عندهم

بالشركة أو أي شركة من مشاريعهم الكتيرة .
أجابت وهي غاضبة: أنا محبش أطلب منهم مساعدة بعد موقفهم معايا، أنت ناسي إنهم رفضوا يقابلوني أكتر من مرة، عايزنى ايه أرخص نفسي أكتر من كده؟ وبعدين أنا عايزة أثبت إننا نقدر بحبنا نعيش حتى في أحلك الظروف .
فضحك بصوتٍ عالٍ حتى شعرت بسخريته من كلماتها: أنت بتسخر من كلامي، وبالذات لما قلت حبنا صح؟
فقال لها: لا يا حبيبتي، أنت عارفة أنا بحبك أد ايه، بس ما باليد حيلة، وكمان مش عايزك تتبهدلي معايا أكتر من كده، فاللى المفروض نعمله اننا نقرب من عيلتك الفترة الجاية عشان بس راحتك يا حبيبتي .
فقالت وقد بدا عليها عدم الاقتناع بأي مما قاله: أنت لسه جاي تقول أهلك وتصالحيهم، فين كلامك إن أهم حاجة في الدنيا الحب الصادق؟ اللي به بيتحقق المعجزات، فين الكلام ده؟
فقال لها: حبيبتي أنا لسه عند كلامي، وحبنا ده أحلى حاجة حصلت لي، بس لازم نحكم عقلنا شوية عشان نعرف نعيش، وبعدين أنا طلبت منك ايه، احنا بس هنحاول نتصالح معاهم، لعل وعسى يكون في الخطوة دي خير لينا .
تساءلت وقد أخافتها كلماته: خير ايه بتقول ايه؟
فقال لها: خير بالصلح بينا وبين بعض طبعًا هو أنت فهمتى ايه؟!
جلس كل منهما موازيًا للآخر، ونظرات كل منهما تشرح ما بداخله: مش فاهمة دماغه دي بتفكر في ايه؟ بس اللي متأكدة منه انه يريد أمرًا، ماذا يكون هذا الأمر؟ هذا ما لا يتضح لها بينما جلس محمد مراوضًا عينيها: طبعًا أنت بتفكرى بس هتعملى كده عشان دي تانى خطوة وهو ده وقتها .
بصباح يوم كأي يوم ببيت محمد وسالي اتصلت بوالدتها باكية: في ايه يا سالي يا حبيبتي مالك؟
فردت وقد بدا على صوتها البكاء: لسه فاكرة تردى على يا مامي، دي المرة الكام اللي اتهربتى مني فيها؟
فقالت الأم: أنا نفسي حتى أشوفك بس بابي تعبان شوية، وحالف إن مفيش

علاقة بينا أعمل ايه؟
ردت سالي بخوف: ماله حبيبي سلامته خلاص يا مامي، أنا جاية له حالًا .
أغلقت هاتفها مسرعة نحو ذلك المنزل الضخم:
- "بابي، بابي" .
- "لسه فاكرة بابي، أنا مش مانعها تدخل هنا، ابعدوها عني" .
فقالت وقد بدا عليها الانهيار: أرجوك يا بابي متحرمنيش منك أكتر من كده، أنا تعبانة من غيركوا صدقنى .
فقال وهو يصرخ عاليًا: أنا مش قلت لك عمره ماهيسعدك، قلت لك ولا لأ؟ ده لا له أب ولا أم، فاهمة يعني ايه؟ ورحتى اتجوزتيه غصب عني وعشتِ معاه، شايفة نفسك بقيتِ عاملة ازاي؟ شكلك مش سالي خالص، يا رب تكوني فهمتي .
أخرجتها أمها بسرعة ولا زال الأب يصرخ: يا ريت تكوني فهمتِ .
- "معلش يا سالي يا حبيبتي بس عشان حالته حرجة، بخاف أعرضه لمواقف عصبية، دي كانت جلطة شديدة والدكاترة مشددين على كده" .
خرجت وهي تحاول التماسك، رتوش بذاكرتها تطاردها، وبنصف تلك الرتوش تنتصف عينا زوجها، لكن سرعان ما تتلاشى تلك الصور، كلمات والدها ونظرات كل من بالبيت نحوها تشعرها بحافة الهاوية، لكن أي هاوية إنه شاب كغيره، قست عليه أيامه، بأي ذنب يحاسب على ماضٍ ليس له يد به، مرت الليالي ووجهها الباهت يطارد والدها العليل، حتى شعر هو الآخر بالذنب بابتعاده عنها، لتصل لتلك الدرجة التي كان متأكدًا من بلوغها إياها، حالة من الحزن انتابته ليالٍ متعاقبة حتى ودع الدنيا وقلبه حزين على ابنته الوحيدة، حزنت سالي حزنًا شديدًا على والدها وظلت كلماته ملازمة إياها ليل ونهار، بينما انشغل محمد بتجهيز الحقائب من أجل الانتقال لمنزل سالي، الذي لم يكن يحلم بحجرة بحديقته، رحبت والدتها بهما خاصة بعدما اعترف لها والدها أنه لم يكن من الحكمة الابتعاد عنها بتلك الطريقة، تبدلت الليالي ومعها الأحوال، صار محمد رئيسًا لإحدى الشركات بمجموعة والدها، لازمته النجاحات تباعًا حتى أصبحت هناك شركة أخرى تحت إدارته، تغيرت ألوان الدنيا عند سالي

التي شعرت بالسعادة وسط عائلتها، ومعهم محمد الذي أبرز للجميع نجاحه حيث لم يختلف على ذكائه أحد، تعددت علاقاته وتنوعت بتلك الطبقة التي كان دومًا ناقمًا عليها .

نادتها السجانة: سالي شريف، عندك زيارة اتفضلي .
سارت وهي لا تشعر بقدميها فهي تسير ببطء شديد .
- "سالي، سالي عاملة ايه يا حبيبتي؟
- "مامي"، احتضنتها بقوة ثم بكت بشدة:
أيام بسيطة ومش هتشوفينى تانى .
فقالت لها وقد بدا على وجهها الانشراح: ممكن حبيبتي يبقى فيه استئناف، محمد لسه ما ماتش لحد دلوقتى، حالته حرجة آه، بس اتحسنت عن أيام صدور الحكم، يعني حبيبتي اصبرى وادعى ربنا مايموتش .
فقالت: أنا لو دعيت ربنا مش هدعيه إلا أنه ينتهى من الدنيا، حتى لو شنقوني ميت مرة، أحسن من إني أعرف إنه عايش لسه المجرم، أنتِ نسيتى اللي عمله فينا .

فقالت الأم: أنا مش بيهمنى غيرك، كفاية أبوكى اللي راح حزين عليكِ، أنا كمان مقدرش أخسرك، كفاية حظك العسر في الدنيا، عشان كده هدعى انه يا رب مايموتش .
عادت زنزانتها وعلامات الغضب تجتاح قسماتها الباهتة: يعني مامتش ما هو شخصية زبالة مش بالسهل ينتهى السافل . وهنا تذكرت عندما كانت تمشط شعرها وهي تغني بصوت فرح لتفاجأ برسالة على الهاتف:
"ايه يا سالي أنت لحد دلوقتى مش عارفة إن جوزك متجوز عليكى" .
ألقت الهاتف ليسقط منها المشط أرضًا: متجوز عليَّ ولحد دلوقتي؟ يعني ايه من زمان كده؟ يعني مسكته كل فلوسنا وشركاتنا أنا ووالدتي وفي الآخر يتجوز؟ عارضت نفسها محاولة ثنيها عن تلك الرسالة الملعونة، فقد انقلب نهارها

بعدما كان سعيدًا: بس ممكن الرسالة دي كذب، ده محمد كل يوم بيقولى إنه بيحبني، بس أنتِ فعلًا بتحسى بكده؟ دا أنتِ من زمان وعندك شك في الحب ده، بس بتقاوحى عشان الصورة تكمل، وعشان ميبقاش أبوك مات بلاش كده، من امتى وأنتِ سعيدة معاه؟ دا أنت كل يوم بتفكرى نفسك ان هو ده كان حبيبك اللي ظهر قدام عربيتك فجأة، وسحرك لمدة طويلة لحد ما صورته ظهرت لك في الرتوش اللي دايمًا بتهاجمك، فاكرة اليوم اللي شفتيه بيبص، فاكرة قولتى لنفسك ايه؟ قولتى عيون خاينة .

أخرست تلك الأصوات بداخلها ثم قالت: بقالى فترة كبيرة مش برتاح وهو قدامى، كل سعادتى في بعده .

أفاقت من ذلك الحلم الوهمي لتتسع حدقتا عينيها حتى وصلت مكتبه، وبدأت بتصفح كل الأوراق، يوم، يومان وهي تتابع حتى أحاطتها هالة من السواد لا تعلم لها درجة، وأمسكت بتلك الأوراق مواجهة إياه: كل دول أوراق جواز عرفي وكمان محتفظ بيهم .

ليرد وقد بدا عليه الخوف لأول مرة: جواز ايه عرفي؟ فقالت وهي تقرأهم بصوت مدمع: هالة ،٢٠١٥ راندا،٢٠١٦ عبير ،٢٠١٦ ياه يا راجل اتنين في سنة واحدة؟ ده ايه الوقاحة دي؟

فقال لها وهو يلتقط ذراعها: وقاحة مين احترمي نفسك لأحسن أوديكى ورا الشمس .

فقالت: أيوة علي صوتك يا حبيب قلبي . دمعت عيناها عندما قالت: يا حبيب عمري اللي ضيعت حياتي معاه، وفي الآخر هتودينى ورا الشمس، ما أنا فعلًا، وراها امال أنت فاكر ايه؟ طلقني يا حيوان يا زبالة، وقبل ما تطلقني تسيب كل الشركات اللي عايش عليها وعامل رئيس يا زبالة .

فقام بصفعها بقوة وهو يقول: مين اللي زبالة يا زبالة، وأسيب ايه كل الشركات دي بقت بتاعتى، حتى البيت ده بتاعى، امال أنتِ فاكرة ايه؟

فقالت وهي تشعر بالهذيان: أنت اتجننت بتقول ايه؟

فقال: بقول البيت دا نقلته باسمي، الشركات كلها باسمي، أنت بقى مش

هخليكى باسمي، أنتِ طالق ودى بقى يا حلوة بتكون آخر خطوة، شوفى مكان بقى يشيلك أنت والوالدة .
أمسكت رأسها حتى كادت أن تتقيأ وهي تسمع كل تلك الخرافات، وخرجت مهرولة لتتأكد من كل تلك الادعاءات، دخلت غرفة والدها باحثة لها عن مفر من هذا الكائن وتذكرت: ملوش أصل ولا فصل،
ياريت يقدر يسعدك وأنا متأكد انه مش هيقدر .
مالوش أب ولا أم .
أخذت تبحث وتبحث فلم تجد سوى تلك الورقة الأخيرة، هي قد تجلب لها النجاة من مخالب هذا الوحش، دخلت غرفته وهي تحسب خطواتها لتسمعه يضحك بهاتفه، وهو يحدث إحدى زوجاته بصوت مرتفع، صدمته بذلك المسدس فقام محاولًا تفادي طلقاته، لكنها أفرغت كل محتوياتها بقلبه، وبتلك اللحظة شعرت بسكينة بقلبها لم تشعرها منذ زواجها منه .

عاودت والدتها الزيارة فقالت لها: خير يا مامي . فقالت لها: كل الخير يا حبيبتي، لسه محدش قالك ولا ايه؟ يومين وتنورى بيتك تانى . فقالت وهي لا تشعر بالفرحة تمامًا: لسه عايش مش كده؟
فقالت: فاق يوم وأخدوا أقواله، تعرفى قال ايه؟ قالهم أنا ضربت النار على نفسي عشان أنتحر، عمري ما كان لي مكان فيها، زوجتى بريئة كانت بتحاول تساعدني، زوجتي بريئة أنا قتلت نفسي .
المحامي بيقول فضل يكررها لحد ما مات، يعني الحمد لله حبيبتي هتطلعى منها، وكمان هترتاحى منه للأبد، الحمد لله رب العالمين .
فسجدت سالي شاكرة ربها وهي تردد هي ووالدتها: الحمد لله ده كان كابوس وانزاح من حياتنا ومن الدنيا كلها .

ديمة سوريا

فتحت باب المنزل في عجالة لتوصده بعدها بقدمها، وهي تنزع حقيبتها من ذراعها فتلقها أمامها ثم تسقط على الأريكة، تنظر تجاه التلفاز وتحدث نفسها: إنه مفتوح منذ البارحة يا لهذا الملل! ثم فردت ساقيها بطول الأريكة لتكمل حوارها: إنها دبي بلد الأحلام، وكل شيء جميل لكن هناك ما ينقصني، رغم ذلك لا ينقصني هنا شيء، بالفعل إني غير منصفة، إن تلك البلد ليست كغيرها، تكنولوجيا ورقي في كل شيء ل . . . .(وهنا تقطعت حروفها كدموعها الحبيسة)ك . . . .نها ليست كبلدي، ليس هناك بقعة على الأرض تتساوى مع أرضي وحشتني ووحشني حتى ترابها، لقد كنت أستهزئ بمن يقول أن حتى تراب الوطن غالٍ، اليوم وأنا بأرقى مكان أتمنى أن أتشمم عطر تراب بلدي .

دق هاتفها فأغلقت حوارها الدافئ لترد مجيبة: نعم، منذ دقائق، نتقابل بالمساء إلى اللقاء .

بمرور الساعات الطويلة عليها كانت على موعدها في المساء بأحد المطاعم: ديمة كيف حالك؟ لترد وهي تبتسم وبأوج زينتها: الحمد لله بخير حال . ثم تابع الشاب الجميل الهيئة: أتمنى أن أعرف ردك على طلبي موافقة أم لا؟ فأغمضت عينيها الزرقاوين لثواني ثم قالت برقة: ممكن مهلة من الوقت أفكر وأرد عليك؟ فيرد عليها وهو مأخوذ بجمالها المفرط: ديمة لقد مضى الكثير لقد تعرفنا جيدًا على بعضنا البعض، لا أدري ما ينقصنا حتى نرتبط وللأبد .

دارت رأسها بعيدًا لتتذكر ذلك الوابل من الانفجارات ببلدتها، وضرب ذلك الصوت رأسها مجددًا: ديمة، ديمة . لترد عليه وهي تجري وخصلات شعرها تتسابق معها: قصي لقد سبقتني هذه المرة . فيرد عليها وعيناه بعينيها: من يسبق هو من يحب أكثر . غضبت ديمة: ماذا تقصد؟ إنك تحبني أكثر . فقال لها وهو يضحك تلك الضحكة التي تشطر قلبها نصفين: بالطبع أحبك أكثر بكثير،

فأنت تحبين والدك ووالدتك، وأخويك الاثنين، لكن أنا (بتلك اللحظة تغير صوته وهو يكمل): لم يتبق لي بتلك البلد سواك فقد ذهبوا بعيدًا بعيدًا جدًا .
عندما لمحت الحزن بعينه قالت وهي تسرع: إن كنت تحبني فلتسبقني . تناسى حزنه وهرول مسرعًا حتى وصلا لبيت ديمة، التف الجميع حول المائدة، ووالدة ديمة تخرج الأطباق وتضعها، بينما كانت ديمة منشغلة بعيني قصي المسلطة عليها ولا تتركها حتى لثواني قليلة، حتى دق الباب ففتحت ديمة فقالت وهي تبتسم: إنه بشار ابن خالتي . تغيرت ملامح قصي الذي جذب ديمة جواره حتى لاحظه بشار فقال مخاطبًا إياه: أهلًا قصي لقد تعودت على رؤيتك هنا، ما الموضوع؟ فرد عليه قصي باستياء: وما المشكلة ما موضوعك أنت؟ فغضب بشار: لما تحدثني هكذا إنه بيت خالتي أنا وليس خالتك . همت ديمة أن تتحدث لولا خرجت والدتها: اجلس بشار فلتتناول غدائك معنا، وأنت قصي أنتما أخوان فلا داعٍ لكل تلك الأمور .
ابتلع كل منهما بقية حواره المختزن للآخر، ليتقاسم الجميع نفس المائدة، بتلك اللحظة عادت لتسمع اسمها هذه المرة من شاب المطعم: بما شردتي؟ فردت وهي تبتسم بفتور: لا شيء، فلتطلب لنا الطعام .
أنهت ليلتها وهي تعده أن ترد على طلبه بأقرب وقت، ليعاودها ذلك الشريط مجددًا: أمي هل سمعتِ إنه دوي انفجارات قريبة من هنا . فردت عليها وعينها مرتعبة: انفجارات الله يسترنا، أين أخويك؟ فقالت لها: لم يحضرا بعد . بالمساء كانوا ملتفين يتحدثون: عمي أنا وديمة نريد أن نتزوج يوم الجمعة القادمة . فرد الوالد: هل انتهيت من تحضير البيت؟ فرد عليه وهو يمسك بيد ديمة: نعم لقد انتهينا من كل شيء . فرد الوالد وهو يشير لزوجته: بإذن الله قصي، يكون عرسكما كما تريد حبيبي . انطلقت الزغاريد وعم الفرح البيت كله حتى حل ذلك اليوم، ذهبت ديمة لتتزين مثل كل عروس بينما ظل قصي وأخوة ديمة يكملان ترتيب هيئتهم، وكلما اقتربت الساعات زاد الفرح بالقلوب حتى دقت السادسة، لتقول لها: لقد انتهيت يا عروس يمكنك الذهاب الآن، ما أجملك . بعد أن باركتها عادت ديمة بسيارتها لتلتقي بقصي، لكنها لملمت ذيل

فستانها وأسرعت وهي تتصارع مع ذلك الدخان المتصاعد، هنا اعتدلت ديمة بجلستها لترتشف كوب من الماء، تكاثرت الدموع بعينيها وهي تتذكر بشار يبعدها عن البيت: أنا آسف ديمة . لترد وهي غير مستوعبة: ماذا تقول؟ أين ذهبوا؟ قصي، أبي، أمي، أخوتي . احتضنها بشار وهو يحاول إبعادها عن البيت حتى لا ترى تلك الجثث الملاقاة على الأرض، لكنها أزاحته بقوة لم تعرف مثيلها واتجهت نحوهم وصارت تقلب بأجسادهم لتجد والدتها وهي مرتدية فستان عرسها ووالدها بقميصه الجديد، وهذين الأخوين وهما بكامل أناقتهما، وبينما هي تبحث وجدت قصي ملقى بعيدًا عنهم، وهو مرتدي بدلته، فسقطت أرضًا وهي تحدثهم: لما ذهبتم لمن تركتموني أحبائي لما ذهبتم .

أخذت تضرب على وجهها لينتشلها بشار إلى الخارج، وهي تتأرجح كالذبيحة بفستان عرسها الملطخ بالدماء . مسحت دموعها المترقرقة ثم التقطت هاتفها لترد: نعم عبد الله، ألم أقل لك سأرد عليك قريبًا فلا ترهق نفسك بالاتصال حتى أبلغك بردي . أغلق هاتفه وهو غاضب من ردها، لكنها لم تبال بأمره وواصلت استرجاع تلك اللحظات الأليمة وكيف وقف بشار وخالتها بجوارها وأخذوها معهم إلى هنا لتجد ذلك العمل بشركة كبرى بدبى لتعود للحياة مجدداً تمتلك كل شئ الآن لكن ذلك القلب مازال يأن على الرغم من التفاف كل منْ يرها حولها لكنها كانت دائماً و أبداً ترفض .مرت الليالى حتى قدمت خالتها لتطمئن عليها :لما لم تردى عليه حبيبتى فردت ديمة وهى قلقة :ألستى تعرفين السبب فقالت :تلك القصة القديمة ديمة فلتتناسى حبيبتى حتى تعيشى .فردت وهى منزعجة :قصة قديمة انها ليست بالقديمة ولم أنسها يوم فكيف لى الزواج وقصى يسكن روحى .فردت عليها :اننا اليوم بغربة وحتى نستطيع الحياة لابد لنا من سلك أى طريق يساعدنا فلقد اختار لكى الله الحياة فلتحاولى أن تحيى ديمة وافقى ديمة خاصة أن عبد الله شخص خلوق ومهذب فقد يكون هو عطية الله لكى فلا ترفضيها . أنصتت ديمة لحديثها بإمعان لترد على عبد الله طلبه القبول، ابتهج كثيرًا واتفق مع خالتها على موعد الزفاف، في غضون أيام قليلة كانت ديمة ترتدي فستان العرس من جديد، لينتظرها عبد الله وجميع أفراد العائلتين

بكبرى قاعات الأفراح بدبي حيث الإنارة الهائلة وأصوات الموسيقى العالية، مرت الساعات لتعود ديمة وهي تلملم أطراف فستانها الأبيض، وتسرع صوب بيتها القديم، فتجلس باكية وهي تنادي من جديد، لكن تلك المرة بصوتٍ عالٍ يشق الأركان حزنًا: أمي،
أبي،
أخوتي،
قصي .
وعادت لتكرر: قصي .
لقد عدت إليك حبيبي بفستاني، قصي، قصي .

جنون العاطفة

أيقظت ولاء زوجها بحب وقبلات حانية على جبينه، فابتسم لها راسمًا أجمل وجوه الرجال كما تكرر ولاء دائمًا عن زوجها، في غضون الساعة خرج الزوج إلى عمله بينما مكثت ولاء تتابعه وهو منصرف حتى غادر تمامًا، فعادت لفراشها مجددًا وهي تتذكر وجه زوجها فتبتسم، لقد كان هو قصتها الكبرى، التي ظلت تحلم بها حتى تحقق حلم حياتها بالأخير، ليغفو هذا الحلم بين أحضانها كل يوم، بعدها بساعات قامت لتزاول أعمال المنزل، ثم جلست على الأريكة لتشاهد التلفاز، فإذا بالهاتف يرن وعندما قامت بالرد لم تجد من يجيب، فوضعت السماعة ثم تكرر هذا الأمر أكثر من مرة بهذا النهار، حتى بعد حضور زوجها وأثناء وقوفها بالمطبخ عاد ليرن مجددًا لكن زوجها ظل يتحدث بصوت خافت، لتخرج ولاء فتخطف أذنيها كلماته للمتصل بأنه غير قادر على التصرف، فزوجته تحبه بجنون، وهنا أسندت ظهرها على الحائط وهو يردد بأنه يمتن لها كثيرًا، ولن يستطيع للحظة أن يجرحها حتى لو جرح قلبه هو، عادت إلى المطبخ وهي غير مدركة لما سمعت، فتحت صنبور الماء وظلت تعصف وجهها بالماء، حتى أتاها زوجها يقبلها ويستأذنها الخروج، فما كان لها إلا أن ابتسمت له في حزن، قام باحتضانها فارتمت بين ذراعيه وكأنهما غطاء يكسو جسدها العاري، وبعد انصرافه ارتمت سريعًا على فراشها، وظلت ترتعش فهل من المعقول بعد سنوات من زواجها بحبيب عمرها لم يكن يحبها! بل يحب غيرها، فتغالبها دموعها التي ظلت تسقط وتسقط حتى صارت سيولًا، لكن عقلها عاد ليحدثها فهو يمتن لكي ولن يتركك، فصفعه قلبها وهو يقول ممتن ماذا تعني تلك الكلمة؟ هل تعني الحب أم هي فقط تقدير للحب؟ فقام عقلها بالرد السريع: وماذا

لو ألا يكفي ليكون حبيب حياتي بقربي؟ أراه يكفي . فيعترض القلب سريعًا: لا، لا يكفي، فالامتنان يعني الاحترام وليس الحب . فيرد العقل: وما مشكلتك إذن فهو لن يتركك وحيدة؟ فترد هالة بصوتٍ باكٍ: سيعيش قلبي سعيدًا بينما سيظل هو جريحًا وأنا أحبه وأحبه كثيرًا، أريده سعيدًا فماذا أفعل؟ ازدادت رعشتها فتدثرت بالغطاء راحت تبكي وهذه المرة بغزارة، وفي تلك اللحظة شعرت بشتاء قارص يصب مياهه فوقها بشدة، حاولت التصدي لهذا المطر لكنه انتصر فسقطت على الأرض متوجعة، ثم فتحت عينيها في حسرة، وظلت عيناها تدور بها حتى أتاها زوجها الذي قلق عليها كثيرًا، وحاول بكل الطرق أن يريحها ولا يشعرها بأي تعب، خوفه عليها كان سبب في راحتها النفسية التي استمرت حتى تلك الليلة، التي كانت فيها ولاء مستلقية على الأريكة وفي الجهة المقابلة لها زوجها بمكتبه، حتى لاحظت وميض يخرج من هاتفه فالتفتت إلى نظرات عينيه، فوجدته ينظر إليها وإلى الهاتف، فقامت بهدوء إلى حجرتها، ثم عادت على أطراف أصابعها لتسمع حوار زوجها مع حبيبته وهو يتوسل إليها: سامحيني، لن أستطيع، لا أخونها ولا حتى أجرحها، كانت دومًا حائط صد من خلفي . فأسندت ولاء ظهرها وتكاثرت الدموع في عينيها وهي تجده مخلصًا لها لكنها تابعت حواره: لا أنكر حبي ولن أستطيع نسيانك يوم، فأنتِ حب عمري، لكن ما بيدي حيلة، فقدري أن أكون مع غيرك، دعينا نتفق على الفراق . وحينها لاحظت ولاء انخفاض صوته وكأنه سيبكي: لن أتصل بكِ مجددًا .

وبعد تلك الكلمات وضع هاتفه بجواره وأخفض رأسه دامعًا، حب كُتِبَ له الموت فخرجت ولاء لتجده على حالته، فرفعت وجهه لأعلى لتجد الدموع تملؤها فبكت وهي تحتضنه: لقد سمعت كل شيء، أنت أكثر الرجال صدقًا، أنا أحبك كثيرًا بل أحبك بجنون . فابتسمت عينه الدامعة لكنها تابعت: لكني سأتركك . فتبدلت نظرة الابتسامة على وجهه وهم يحدثها فقاطعته: سأتركك لأني أحبك، أتمنى سعادتك وأنت بالفعل سعيد معي لكنك ستكون أكثر سعادة، لن أبكي، سأتخيل ابتسامتك وأنت مع حبيبتك .

وعندما هَم بالتشبث بيدها أزالت يده ببطء شديد، وكأنها تقطع بقلبها ثم

قالت له: لا تأت خلفي، ابحث عن سعادتك، أحبك .

أقراص منومة

استقبلت "سيدة" العام الهجري الجديد بإعداد أطباق الأرز باللبن، التي تعدها لجيرانها على الدوام، لتعود لمنزلها المكون من حجرتين صغيرتين؛ من بينهما غرفة نومها، وأخرى تستقبل بها الضيوف، ثم تغلق إضاءة مطبخها الضيق لتفتح ذلك التلفاز الخشبي، وتظل تحرك بأسلاكه حتى تأتي الصورة في الأخير، فتركن ظهرها على الحائط وتستدعي أصوات من كانوا يعيشون معها، واليوم غادروها لتصبح وحيدة وسط الجدران المتهالكة، وبينما هي في حالة استدعاء الذاكرة تهتز شاشة التلفاز أكثر من مرة، ويرتسم ذلك الخط الأسود ليتحرك من أعلى لأسفل، فتسود الدنيا أمام عينيها، تجتاح الحمرة وجهها الضعيف بعض الشيء ثم تتعالى أصواتهم شيئًا فشيئًا، فتحضر أقراصها المنومة من أسفل وسادتها، ثم تسحب غطائها لتغط بنوم عميق لا تستيقظ إلا في الصباح على صوت التلفاز، وهو يتحدث لكن هذه المرة بلا انقطاع، وبعدما أزالت آثار النوم من وجهها، رن هاتفها المحمول القديم الهيئة فالتقطته بسرعة لتبتسم فور رؤيتها الاسم وترد: ازيك يا روحي عاملة ايه؟ وحشتيني وحشتيني أوى يا هبة . ثم توقفت لتسمع حوار ابنتها وعادت لترد مجددًا: ليه كده يا حبيبتي، طيب اهدى شوية وحاولي تتكلمي مع أحمد بهدوء لما يرجع من شغله . وعاودت الصمت مجددًا وهي تحرك شفاهها بأصبعها ثم انبسطت أساريرها وقالت: أنت بتقولي ايه؟ أنت جاية وفي الطريق كمان . وزادتها الفرحة ارتباكًا فظلت تكرر: تيجى بالسلامة يا حبيبتي، تيجى بالسلامة . قامت بنشاط لتعد المنزل الصغير لاستقبال ابنتها "هبة"، وحفيدتها الرضيعة "تيا"، وأخذت تحدث نفسها: تيا تيا يا حبيبة تيتة هبوسك وأبوسك وحشتوني . وفي خلال تلك الأثناء دق باب المنزل وعندها

طارت فرحة: هبة لحقت تيجى من اسكندرية! تيجى بالسلامة . وفتحت الباب وهي تقول: أهلًا يا هبة يا حبيبتي . لم تكن هبة لكنها صرخت فرحة: عبد عبد حبيب قلبي . واحتضنته بقوة كما فعل هو الآخر وهو يردد: وحشتيني يا ماما أوى لتجذبه من ذراعه للداخل وتظل محتضناه طويلًا وهي تتحدث: أنا مش مصدقة نفسي يا عبد انت بقالك زمان مجتش هنا تشوفنى . فرد عليها وهو يمسح على رأسها: والله يا ماما غصب عني، أنت عرفة شغل مهندسين البترول وقرفه، وكمان البيت والولاد ومدارسهم ربطة جامدة، صعب عليا إنى اسيبك بس أنت مرضتيش تيجى معايا الجونة . فرفعت رأسها: جونة ايه يا عبد معرفش أعيش بعيد عن بيتي وجيراني . فرد وهو يستشعر الحزن: بس أنت عايشة لوحدك وبقلق عليكى . فردت وهي تضربه على يده برفق: يعني كنت بتتصل أوى يا أخويا، دا أنت كل فين وفين ما بتسأل عليا . فأعاد جوابه مجددًا: أنت عارفة شغلي والله ما بقعد مع ولادي إلا دقايق، وأوقات بشفهم وهما نايمين . وبسرعة سألته: ورينى صورهم كده يا عبد والنبى . فأخرج هاتفه: ده يا ستي كريم . فقالت سيدة: ما شاء الله حبيبي ده شبهك يا عبد زي القمر . ثم أتاها بالصورة الثانية: وده حمزة ودي حلا . فقالت وهي تقضب حاجبيها: لا حمزة شبه سوسو مراتك، مش حلو زيك يا عبد . فرد عليها: لسه برضوا زعلانة من سوسو من يومها . فقالت: هزعل ليه هي مراتك كده مستقوية . ثم ضحكت له: يلا يا عبد كان نفسي تاخد واحدة نعرفها بس انت جبتلنا دي بقى يلا . فرد عليها: والله سوسو طيبة وبتحبك يا ماما . فردت وهي تضحك ضحكة صافية: تحبني ولا ما تحبني أهم حاجة عندي أنت ابني حبيبي . ثم تركت يده وهي تقول: هحضر لك الفطار . وهنا عاد الباب ليدق مجددًا، وقام عبد الرحمن يفتح فإذا به يقول متفاجئًا: هبة! فتركت والدته البيض على الطاولة وخرجت مسرعة: حبيبتي وحشتيني وحشتيني أوى . والتقطت حفيدتها بسرعة وأخذت تقبلها هي وخالها، في حين أسقطت هبة جسدها على الكرسي الخشبي القديم، هو ذاته الذي ظلت تجلس عليه سنوات وسنوات، وبعد لحظات من السعادة من والدتها وأخيها عبد الرحمن، سرعان ما لمحا دموع هبة الحبيسة بعينيها،

وعندما نظرا إليها قالت لهما: شتمني وكان هيضربنى، لولا البنت عيطت من صوته العالي . وعندما همت والدتها تتحدث سبقتها هبة مكملة: هتقولي لي أنت اخترتيه وحبتيه ورفضتى كتير عشانه، أهو شتمنى وعلا صوته عليا وكمان . وهنا سقطت دموعها: كان هيضربنى . فاحتضنتها والدتها وأسرعت قائلة: مش وقت الكلام ده خالص، قومى غيرى هدومك وهحضر لكوا الفطار أنت وأخوكى زي زمان . وبعدها بدقائق كانت هبة بجوار أخيها ووالدتهما بالمقابل على طاولتها الصغيرة: ياه الطربيزة دي لسه عايشة . وضحكت هبة: ياه الملوخية، تصدقى يا ماما بقالى كتير مأكلتش ملوخية . وظلت الضحكات تتعالى بينهم حتى انقضت الساعات، لتتصل زوجة عبد الرحمن تطمئن عليه لتعرف الأم بعدها أنه أتى من أجل أن يستخلص بعض الأوراق اللازمة لعمله، فهدأت الأم قليلًا فقد كانت تتمنى أن يكون سبب الزيارة هو رؤيتها، وسريعًا غابت البسمة من وجه هبة وهي تحدث زوجها: أنت عايزنى أقعد بعد إهانتك ليا . ثم أخذت تسمع لحواره بينما هي تحرك شفتيها بطريقة هيسترية وسيدة تتابعها، وهي تتكتم حزنها على ابنتها فإذا بهبة ترد عليه: ماينفعش لازم أنت اللي تيجى تأخدنى، عمري ماجى إلا لو جيت، وبراحتك فاضي مش فاضي عادي أنت حر . ألقت هبة بجسدها المرهق وراحت في نوم عميق بينما جلست سيدة تحرك بشعرها وهي تحدث نفسها: شكلك زعلان يا قلبي، بس مجتيش حكتي لي لأد كده بعدتى عني، بالظبط زي المسافة من هنا لاسكندرية . وامتلأت عونها بالدموع: أهم حاجة أنك تحلى مشاكلك ومتبقيش مضايقة تانى . ثم خرجت إلى المطبخ لتعد لهما كل الوجبات التي كانا يحبانها، ومع مرور الساعات كان عبد الرحمن قد أنهى أوراقه، وأمه تسمعه يحدث زوجته: حاضر هاجي مش هبات يوم تانى . فكتمت سيدة غضبها وظلت تراقب نظرات هبة لهاتفها منتظرة حضور زوجها، وخائفة من عدم حضوره، احتضنت سيدة عبد الرحمن وهو يحمل حقيبته الصغيرة، وهو يحاول أن يخفي حرجه من أمه، فلم يكمل معها حتى اليوم وغادر عبد الرحمن، بينما ظلت هبة قلقة دون أن تنطق بكلمة لوالدتها، حتى كانت دقات الباب لتقوم منتفضة من الفراش وترتسم لأول مرة

الابتسامة على وجهها، فتجمع أشيائها بسرعة وتأخذ ابنتها من والدتها وتحتضن أمها سريعًا، ثم تطير فرحة مع زوجها، ألقت سيدة نفس النظرة على ابنتها كما عبد الرحمن، لتعود إلى حجرتها بعدما أغلقت كل مفاتيح الكهرباء والغاز وتفتح نفس التلفاز الخشبي، تحرك في السلك لتأتي الصورة فتسند ظهرها على الحائط ليعود الخط الأسود وسط الشاشة، فتحضر الأقراص المنومة لتخلد إلى النوم بسرعة .

سيدة الوحل

استيقظت وهي تبتلع ريقها بعد كابوس قامت فزعة منه لتجد ذلك الرجل جوارها:
يا لهوي لو الحلم ده اتحقق والباب دق دلوقتي وكان زوجي على الباب هعمل ايه؟
خرج الرجل مهرولًا بينما جلست هي تفحص هاتفها، ثم قامت بالاتصال بزوجها وبعد مكالمة قصيرة: الحمد لله ده ماكانش حلم ده كابوس .
لحظات وكانت بكامل تأنقها خارج المنزل تتمايل بمشيتها يمنة ويسرة مع إلقاء التحية بضحكة لعوب تثير من يراها، حتى وصلت لتلك الحجرة بجانب السلم وفتحتها ألقت العلكة من فمها وأسقطت حجابها الصغير، ثم اتجهت صوب النافذة وفتحتها لتنتفض السيدة على الفراش: أنتِ جيتِ؟ فردت وهي تزيل العباءة السوداء الضيقة: آه فطرتي ولا لسه؟ فقالت العجوز بخوف: لسه أنا كنت نايمة .
قالت: الظهر خلاص نايمة كل ده؟
تحركت بخفة بالغرفة الضيقة ثم وضعت الكرسي المتحرك أمام الفراش، ثم قامت بحملها وهنا دمعت عينها وهي تحتضنها بقوة، ثم وضعتها برفق على ذلك الكرسي أمامها، محاولة ابتلاع دموعها حتى لا تراها العجوز، بدأت بوضع الفطور أمامها وظلت العجوز تنظر لها بشفقة، ثم جلست مقابلة لها وبدأت بتقطيع الخبز وإطعامها بيدها، نظرات اللعوب لها كلها قسوة، لكن لما كل تلك الدموع بمقلتيها وهي تنظر ليديها غير المتحركة جوارها، لحظات من التناقض بين الحنان والشدة حتى انتهت من إفطارها لتحضر المشط من جوارها، وتبدأ

بتمشيط شعرها لتتذكر وهي طفلة وهي تناديها: لولو تعالي يا لولو أسرح شعرك الجميل .
فتجلس لولو بين ساقي والدتها وتبدأ بتمشيط شعرها وهي تغني لها بصوتها الذي كان جميلًا: حبيبة أمها، يا أخواتي بحبها، يا أخواتي يا أخواتي بحبها .
لم تشعر لولو بنفسها سوى وتلك الدموع المتحجرة تتساقط على خصلات العجوز الرمادية لتحدثها: زوجك جه من السفر ولا لسه؟
فقالت لولو: لسه أهو داخل على الثلاث سنين ومش عايز ينزل .
قالت: ليه كده مش عارف ان عنده بيت وست لوحدها؟
فقالت وقد انتهت وقامت تنظر إليها بقوة: يجى لايه؟ أهو كل شوية يبعت لي فلوس كتير، وأنا كده كده عايشة ومبسوطة، متخافيش . اقتربت منها كثيرًا: مبسوطة زيك زمان فاكرة .
أسقطت السيدة وجهها نحو الأرض لتشعر لولو بكهرباء تسري بجسدها، وضعت عباءتها ثم ذلك الحجاب، ثم أخرجت علكة أخرى، وخرجت تتمايل لكن هذه المرة تشعر وكأن الهواء يصفعها على وجهها، لتسيل دموعها على خديها فتتوقف عن السير، وتعود تلك الصفحة الحالكة السواد تراودها:
ماما، ماما، هي فين؟
دقت على حجرتها مجددًا لم يجبها أحد، فجلست أمام المنزل وأشعة الشمس تعكس ضوءها على ضفيرتها الطويلة وهي تغني وتدندن ككل الأطفال بعمرها، حتى وجدت ذلك الرجل يخرج من غرفة والدها، فدخلت سريعًا نحوها لترتجف الأم كثيرًا، سيل من الأسئلة من الفتاة الصغيرة والتي شعرت بشيب برأسها فجأة، صمتت الأم طويلًا مستوعبة تلك الكارثة على ابنتها، فسقطت كسيحة كما هي اليوم جراء خوفها وحزنها على ما فعلت، لتظل الفتاة محتفظة بكامل هيئة الصورة القديمة محاولة مرارًا وتكرارًا تذكيرها بفعلتها التي جلبت لهم الكثير، فقد هاجر الأب بعيدًا تاركًا كل شيء يخص تلك المرأة، في حين تبرأ منها الجميع، فلم يعد جوارها سوى لولو الصغيرة التي كبرت اليوم .
أغلقت شريط الذكريات الحزين وعادت لغرفتها باكية بصوت يكاد يكون

مرتفع حتى سمعها ذلك الشيخ فدق بابها:
أهلًا شيخنا .
فقال: سمعت صوت بكاء فأحببت الاطمئنان عليك يا ابنتي، لم تبكي؟
تهللت أساريرها وهي تفتح له مجلسًا: أنت تعرف يا شيخنا إن أنت أول حد يجى يسألنى كده عن حالي . نظرت بعيدًا وكأنها تخرج ما بجعبتها: الكل فاكرني مقضياها بالطول والعرض ومش هاممني حد .
فقال الشيخ: تصرفاتك هي مرايتك يبقى ليه تلومي على الناس .
قالت وهي منزعجة: لا يا سيدنا، عمر التصرفات ما بتعبر عن اللي جوانا، أوقات بتستخبى خلف صورة حتى لو وحشة بس عشان نعيش .
قال: واحنا ليه نستخبى ورا الوحشة، ما ندور على برواز نظيف ونحط نفسنا جواه، وساعتها الناس كلها تشوفنا زي ما احنا .
فقالت: أنا جوايا كتير يا شيخ مش حبه اللي بعمله، بس بحس انى بعاقب نفسي بعمايلى كل يوم، ببكي زي ما سمعتني بس مش قادرة أغير نفسي .
قال الشيخ بتروٍ: يعني عايزة تتغيري يا، ألا اسمك الحقيقي ايه؟ بدل لولو ده اللي شبهك يا بنتي .
فقالت وهي تبتسم: إلهام يا شيخ، بس لولو ده مش شبهنى، أنا اللي شبهته .
فقال: المهم لو عايزة تتوبي باب التوبة مفتوح وربنا اللي قال كده يا بنتي .
فقالت: بس الناس مش هتسبنى في حالي يا شيخ وهتفضل لولو فنظرهم حتى لو ايه؟
فقال: وأنت بتعاملي مين؟ كلنا في الدنيا بنعامل ربنا وبس، فلو عندك النية للتوبة تعالي وخبطي على بابي، وأنا هقولك تعملي ايه، وقبل ده كله اخلعي كل ما هو سيء وتمحيه من حياتك، عشان لما تقابلي ربنا تقابليه بوجه سليم .
هم بالانصراف لكنه عاد ناصحًا: باب التوبة مفتوح يا إلهام يا بنتي، ومين منا يا بنتي بلا خطيئة .
خرج الشيخ وكلماته صارت تدق برأسها كثيرًا حتى حل المساء، فخرجت كعادتها صوب بيت والدتها، لكنها هذه المرة ليست كالصباح، فحديث هذا الرجل بعثر

كل ما بداخلها لتفاجئ الأم بقدومها ليلًا: مين؟ مين جاي؟
فقالت وهي تبكي: أنا، هيبقى مين؟ في حد فالبلد دي كلها بيسأل عنك غيري؟
ابتلعت العجوز ريقها وهي تبكي بحسرة، ثم قالت: مش عارفة ليه مش عايزة تسامحينى يا لولو يا بنتي، بعد العمر ده كله لسه مش قادرة تنسي .
فقاطعتها قبل أن تكمل جملتها التالية: ماتقوليش لولو، لولو دي أنت بفعلتك اللي كبرتيها . ثم جلست وقد بدا على صوتها الهدوء وهي تتذكر: أنا كان اسمي إلهام وكانت حياتي تبقى مختلفة لو مكنش اللي حصل حصل وبابا يسبنا ويمشي . ليعلو صوتها مجددًا وهي تقول والدموع تنبثق منها كشلال انفجر لتوه: أنت عمرك حسيتي إنى كنت بحتاج أبويا أد ايه؟ أنا كنت بشتاق لحضنه ازاي؟ أنا من يوم ما سابنا وحسيت انى بقيت عريانة، مكشوفة لكل الناس، أبويا اللي كان هيبقى ظهري وسندي أنت كسرت ظهري أنت، خلتيني أمشى في الوحل، أنت عارفة ليه؟ عارفة ليه بقيت لولو؟ عشان أخليكى تشوفي نفسك وغلطتك قدامك ليل مع نهار، ليل مع نهار تشوفي لولو أنت وأنت لولو .
تعبت من طول الكلام فجلست بينما بكت الأم بصوتٍ عالٍ: كل ده بسبب غلطتي، بس ربنا بيغفر وأنتى مش قادرة تغفر لي غلطة عمرها أكتر من عشرين سنة، أنا عارفة إن كل كلمة قولتيها صح، هو أنت فاكرة ايه؟ أنا كل يوم بشوفك وبسمع كلام الناس عنك بتقطع من جوايا، أنا جوايا نار قايدة، بس مش بإيدي حاجة، أنا واحدة مشلولة كسيحة ربنا عاقبنى فوقتها وأنا راضية بعقابه، بس أنا تبت له وهو أكيد هيسامحنى بس . وهنا تقطع صوتها وكأنها تخرج آخر كلماتها: أنا نفسي أنت كمان تسامحيني، سامحيني يا بنتي من قلبك عشان لو قابلته يبقى أقابله تايبة ومرتاحة .
فردت إلهام وقد تأثرت بكلامها، لكن تلك الكرة من النار داخلتها جعلتها ترفض ذلك السماح فقالت: بس أنا مش ربنا عشان أسامحك، تصبحي على خير .
غادرت إلهام الحجرة لتتدهور حالة العجوز وهي تنطق الشهادة وحدها داعية ربها أن يلهم ابنتها الصواب لتنتهي صفحتها من الدنيا، بالصباح فتحت إلهام الحجرة والنوافذ واتجهت لتوقظها، لكنها لم تجبها اليوم فكانت صيحاتها التي

وصلت لعنان السماء: كنت جاية النهاردة أقولك إني سامحتك، كنت جاية أحضنك بس يا خسارة، حتى إني أقولك إني سامحتك ربنا حرمك منها، يا رب سامحها واغفر لها، يا رب ارحمها، يا رب تقبل توبتي، أستغفرك يا رب من كل آثامي وأفعالي، يا رب .
ساعات من الحزن عاشتها حتى حلت الثانية عشر ليلًا، فقامت كالمجنونة تهرول والناس خلفها حتى وصلت عند الباب وصارت تدق بطريقة هيستيرية، والناس خلفها يتغامزون حتى صمت الجميع وهي تقول: افتح لي يا شيخ، افتح لي يا شيخ .
حتى فتحت لها الأبواب أخيرًا فكان الحديث أمام الجميع: شيخنا، شيخنا أنا عايزة أتوب، يا شيخ قل لي أعمل ايه؟
نظر الشيخ نحوها ليجد عينها الضالة ووجها الشاحب يرتجفان خوفًا وطمعًا بعفو الله، فنادى على ابنته: احضري لها عباءة واسعة . ألبستها إياها الفتاة ثم وضعت ذلك الحجاب الطويل عليها، لتشعر إلهام بالدفء لأول مرة منذ سنوات، ليعاود الشيخ حديثه إليها: قولي ورايا أستغفر الله العظيم من كل ذنوبي وآثامي،
اللهم إني تبت إليك توبة نصوح، اللهم إني تبت إليك .
قولي ورايا كمان، وقدام الخلق عشان يكونوا شاهدين على براءتك من كل إثم،
اللهم إني رجوتك فلا تظلمني ودعوتك فلا تعذبني .
اللهم تب عليّ، اللهم تب عليّ،
اللهم اغفر، اللهم اغفر لي .

رددت إلهام خلفه تلك الأدعية وعيناها تفيض بالدمع وقلبها يدق دقات سريعة حتى أخبرها بالأخير أن ربك سميع خبير وهو قبل كل شيء غفور رحيم، فليتقبل الله توبتك يا رب .
شهد الجميع على توبتها وصارت الألسنة تتقاذف اسمها بكل ما رأوه وما سمعوه عن توبتها إلا أنها احتجبت ببيتها، تصلي لله ليلًا ونهارًا، وتدعوه سرًا

وجهرًا، حتى يتقبل توبتها ويهديها للطريق المستقيم .

بنت اسمها سعادة

نادت الزوجة زوجها بصوت خفيض متعب فأجابها في سرعة: قادم . ليتكئ جوارها بحنان مخفضًا صوته باتجاهها: هل أحضر لكي شيء، أتريدين الطعام؟ فترد عليه وهي تحاول الاعتدال بجلستها ثم تبتسم: طعام لا، بالطبع لا، ألا يكفيك ما تناولته منذ الصباح؟! بَادلها نفس الابتسامة الحانية: أريدك أن تتعافي بسرعة حبيبتي . فردت بابتسامة ماكرة: هل ضجرت من أعمال المنزل الكثيرة . ليأتي رده السريع: لا أبدًا أبدًا، لكني أتمنى رؤيتك متعافية . فردت: الحمد لله رب العالمين على أنعمه المتعددة .

بتلك اللحظة علا صوت صغير بالحجرة اتسع له ثغريهما، حملتها بحكمة ثم أخذت تقبلها برقة، ليكمل زوجها الذي استقام ليعود للمطبخ من جديد: لقد فاتني الكثير من الوقت، يتحتم عليَّ الخروج، فأعمال المنزل بالفعل لا تنتهي .

أغلق باب الحجرة خلفه لترجع الزوجة ظهرها للخلف متأملة: يا لهذه الدنيا إنه بيت صغير بالفعل . لتدور عيناها بالغرفة متأملة تلك النافذة الصغيرة المتهالكة الأركان، ثم تقع عينها على ذلك الكرسي الخشبي الهزاز، فتسقط نظراتها على تلك السجادة بأرض الغرفة، ثم تكمل: أين كنت وأين أصبحت؟ لن يُصَدق! لكنه ما حدث أنا ابنة أكبر بائع مجوهرات بالبلد، خريجة الجامعة الأمريكية التي كانت لا تعرف لأي شيء وزن إلا بالنقود، نعم كنت تلك الفتاة الثرية المغرورة التي لا تعي شيئًا بالحياة سوى أموال والدها، دومًا كنت أشعر وكأني ملكت كل شيء بالدنيا الجمال والمال والأصل، حتى ذلك اليوم الذي عدت فيه من الجامعة اتجهت فيه صوب أحد المحلات لأبي لأجد ذلك الشخص الغريب: من أنت؟ هل أنت جديد هنا؟ ليرد الشخص وعينه ناظرة لأسفل: نعم سيدتي

لقد تم تعييني اليوم هنا . فقامت بالرد من جديد: جيد وما اسمك إذن؟ فأجاب: عبد الرحمن . فردت عليه وهي تخرج تلك السيجارة من حقيبتها لتشعلها: أين أبي يا عبد الرحمن؟ فأجابها وهو يحرك يده لتزيل دخان سيجارتها بعيدًا: لم يأتْ بعد سيدتي . فصاحت بوجهه: ماذا تفعل يا هذا؟ لمَ أشعر وكأنك غاضب من سيجارتي ألم تدخن يومًا؟ ترجل عبد الرحمن بوقفته ولم يجب شيئًا حتى صرخت مجددًا: فلتنظر إليَّ، أجبني لم تدخن من قبل؟ فأجابها وهو ينصرف: أبدًا سيدتي، لم أدخن قط وأعتذر لكي عما بدر مني . ثم انصرف لداخل المحل، فجلست وهي تشعل سيجارة أخرى، حتى مرت الدقائق وهي تشعر بالملل فخرجت مسرعة .

"كم كنت طائشة، فقد ركبت سيارتي وانطلقت بعيدًا بأقصى سرعتي، حتى صدمت تلك الشجرة، فأوقفتني ليتمثل وجه عبد الرحمن أمامي من جديد، وهو يعتذر بتأدب: كم هو مستفز هذا العبد الرحمن؟ إنه حتى لا ينظر إلي، ليس كل هذا احترام لكنه عدم مبالاة بي، لقد ضايقني هذا الرجل سأجعل والدي يقوم بطرده .

في النهار التالي عدت من جديد لنفس المكان لأواجه ذلك العامل من جديد، لكنى لم أجده ببادئ الأمر، فأخذت أنادى وأتفحص المكان لأسمع صوتًا، تتبعته فوجدت عبد الرحمن يصلي، وليس فقط يقف على مصليته لكنه يتلو بخشوع، حتى خرجت من محله لأقف بالخارج لدقائق قليلة ثم أسرعت وركبت سيارتي وكل جسدي ينتفض، لا أعلم لماذا، لكن تلك القشعريرة أصابتني فور سماع صوته يتلو القرآن ويصلي بخشوع، عدت لحجرتي وألقيت بجسدي على فراشي وحدثت نفسي: ما بي؟ ولما تلك الحسرة بداخلي؟ لما تركت المكان قبل أن أفعل به كما أردت؟ إنه يصلي! وما الغريب في ذلك؟ فوالدتك تصلي أيضًا، أبي يصلي فقط بشهر رمضان، أما أنا فلا أصلي أبدًا، حتى بذلك الشهر الفضيل تكون سهراتي بالخيم الرمضانية .

خرجت بعدها لحجرة والدتي فوجدتها هي الأخرى تصلي، لكنها ليست كصلاته ليست بخشوعه، صارت الكلمات تتقاتل برأسي وعيني تبحث عن المصلية،

لكن عقلي منعني أن أفعل ما تمنيت أن أفعله، وهنا دق الباب مجددًا: لا زلت تدق باب الحجرة؟ فرد عليها زوجها: إنها سنة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فتبسمت له وهي تقول: لقد نامت . فرد عليها: أتريدين شيء قبل أن أخرج؟ فقالت له: لا سوف أنام أنا الأخرى حتى تعود من عملك بالمساء . ودعها مقبلًا جبهتها برقة ليخرج وهي تنظر إليه بلهفة، لتستعد للنوم لكنها أخذت تكمل: منعت نفسي بعدها عن الذهاب لمحل والدي، فقد كنت أخشى شيئًا، لكني لم أكن أعرفه، حتى قادتني قدماي لهناك، دخلت وأنا أتلصص النظر وخائفة لما أنا خائفة لا أعرف؟ ليجدني أمامه: أهلًا سيدتي . فقمت بالرد عليه: أهلًا يا . فرد: عبد الرحمن سيدتي . فقلت له وأنا أبتسم: لما تتحاشى النظر إليّ يا عبد الرحمن؟ فقال لها: كيف أتحاشى؟ لا سيدتي إنه من التأدب فقط . فعدت أسأله من جديد: هل تفعل هكذا مع كل النساء؟ فقال لها: بالتأكيد سيدتي . هنا توقفت عن الكلام لأتفحصه حينما دخل أحد الزبائن وكيف يرد عليه بكل احترام، دق هاتفي وكأنه جرس ينبهني أنه يجب عليَّ الانصراف، فجلستي تلك لا تليق بي، ولا بأبي، فقمت مسرعة دون حتى إلقاء التحية عليه، وعدت لبيتي ووجهه لا يفارقني، حالة من التخبط جعلت النوم يجافيني ليلة كاملة، حتى ذهبت إلى حجرة والدتي، وأخذت مصليتها وحاولت الصلاة، لكني لم أصلِ من قبل، فكيف لي بالصلاة، بتلك اللحظة بكيت بحرقة حين شعرت بالعجز، فكل شيء بحوزتي ولا أشعر بذلك الإحساس حيال أي شيء إلا تلك المرة، انتظرت حتى الصباح وكنت هناك بمقابلته فسألني في حيرة: هل من خطب سيدتي؟ فقلت له وقد فاضت عيناي بالدموع: إن صدري مطبق عليَّ، وأشعر أن هناك شيء يحاول خنقي، وعندما حاولت الصلاة لم أعرف يا عبد الرحمن . فرد بتعجب: لا تعرفي كيف تصلين؟! فقلت له والدموع تنساب على وجهي: لم أصلِ بحياتي ولم يعلمني أحد الصلاة . فنظر نحوي بحنان ولأول مرة تلتقي عينه بعيني ليخفضها في ثوانٍ ويبتسم مرددًا: لا تقلقي إنها أمرٌ يسير . فقلت له: لقد سمعتك تصلي هنا، لست تصل كالباقيين، أريد الصلاة مثلك، هل تدلني على الطريقة؟ فقال لي: سوف أجهز لكي مجموعة من الكتب سوف تضعك

على الطريق الذي تريدين . فشكرته بشدة وخرجت فرحة وخالجني إحساس بالنصر، شعرت كأنني فزت على ذلك الوسواس داخلي، الذي منعني من كل ما هو جميل، ليبدلني إياه بما هو فاسد .

بعد أيام كانت تلك الكتب معي، تعلمت كيف أتوضأ وأصلي، أتذكر كم كانت فرحتي بعد أول صلاة قمت بتأديتها، شعور غريب بالراحة، ليرتسم وجه عبد الرحمن أمامي من جديد، فذهبت إليه وقمت بشكره، حتى فوجئت بشخص متهالك الملبس يناديه، فخرج إليه مسرعًا، وأخرج من ملابسه شيئًا ليمنحه إياه في سكينة فقلت له: اعذرني لكنك فقير، وتعمل عامل هنا . فقال لي: إنه التصدق سيدتي، إحساسها أجمل وأجمل، عقبات تنفرج، مشكلات تحل، الصدقة لها صدى مختلف، فلتتصدقي وتعرفين حينها . خرجت منشرحة الصدر، مرت الشهور تباعًا، تبدلت أحوالي وكأنني أنثى جديدة غير الأولى، ازدادت لقاءاتي بعبد الرحمن، حتى شعرت بانجذابه المتأدب نحوي، كانجذابي له منذ رؤيته للوهلة الأولى .

مرت الساعات ليأتيها زوجها: كيف كان يومك؟ فرد عليها: الحمد لله رب العالمين الذي يرزقنا من فضله . فقالت له: عبد الرحمن، ابنتك لم تسمها بعد . فقال لها: اسمها؟ اسمها سعادة . فقالت له: سعادة؟ هل تشعر فعلًا بالسعادة معي على الرغم مما فعله بك والدي قبل وبعد زواجنا؟ هل تشعر معي بذلك وقد منع رزقك والدي؟ فقال لها: لا تقولي هذا، أنت سعادتي، ولست تعرفين أيضًا فأنت الرزق الذي رزقني ربي به، أني لست سعيدًا فحسب، إني راضٍ بك عطية من ربي، تغنيني عن كل أموال ومباهج الدنيا، أنت بهجتي وسعادتي، لذا سأسميها سعادة، ليجعلها ربي سعادتنا بالعمر كله .

حائط سد

اصطدمت سعاد بالحائط، فتوقفت محركة عينيها لليمين واليسار، إنه جدار كبير، فتحولت للأمام لتجد جدار آخر: ما هذه الجدران؟ ولما هي بذلك الارتفاع؟ أريد الخروج بعيدًا فكيف لي بالخروج؟ تمتمت بتلك الأسئلة، ثم صمتت كثيرًا وهي تنتقل من اليمين لليسار ومن أعلى لتنزلق إلى أسفل مجددًا .

الساعة السادسة مساء، تجري الطفلة هنا بالمنزل متجه صوب حجرة سعاد لتوقظها من النوم، فقامت مفزوعة وهي تمسك برقبتها والعرق يتصبب منها ثم قالت: الحمد لله، الحمد لله أنه حلم، كانت روحي هتطلع من خنقة الحيطان الحمد لله . ثم اقتربت منها هنا، قبلتها من وجنتيها، فقالت هنا: ماما بتقولك الساعة ستة . فقبلتها مجددًا: أنت أنقذتيني حبيبتي . أسرعت هنا للخارج، لتقوم سعاد متثاقلة بقدميها، وعندما شعرت بعدم قدرتها على الحركة نظرت لأسفل، فوجدت رمال كثيرة حولها، فصعقت من كم الرمال حولها، كلما حاولت رفع قدميها والخطو للأمام تعود للخلف تسقط على الأرض: ما كل تلك الرمال؟ ومن أين أتت؟ إنها كالصحاري، أشعر بالقشعريرة فقد ثبتت قدماي بالرمل، يا ربي أنقذني، كم تعبت . تعبت وازدادت صرخاتها حتى قامت من فراشها منتفضة: الساعة بقت ونص يا ماما، قومي يلا، هنا قالت لي إنك كنت صحيتي . نظرت صامتة لتكمل ابنتها: يلا عشان منتأخرش، لما نشوف هيعمل ايه خالي .

ففركت سعاد عينيها غير مصدقة اختلاط تلك العوالم برأسها، وبعد مرور عداد الدقائق بالساعة قبالتها شعرت ببرودة شديدة، وشيء يسال جوارها وعندما ألقت ببصرها شهقت صارخة: هغرق، هغرق، بحر في الأوضة، بحر في الأوضة . وحاولت التجديف بذراعيها حتى كلت وشعرت بالإرهاق الشديد، لتتصاعد

المياه لتغطي جسدها بأكمله، فتتيقظ على يدي ابنتها من جديد: يا ستي قومي يلا مش هسيبك إلا لما تقومي .
وفي غضون دقائق كانوا بمنزل خالهم الكبير، وجلست هي وابنتها منتظرين وعندما قرع الباب انتفضت وتحدث أخوها: كده احنا اجتمعنا عشان نتفق، نقول على بركة الله يا حاج إسماعيل؟ فرد عليه: ماشي يا عم عايزين نخلص من أم القضية والحوارت دي . لم تتحدث سعاد بل اكتفت بالصمت، وهي غير مدركة لأمر القضية تمامًا، لكن لا يجول بفكرها إلا تلك الجدران والرمال والبحر حتى لفتتها ابنتها للحوار: ماما رأيك ايه؟ عايز يطلعنا من البيت مقابل إنه يدينا الورث؟ فلم ترد عليها بشيء: يعني ده رأيك ولا قضايا ولا محاكم؟ فرد عليه: ده آخر كلام عندي يسيبوا البيت وأنا أديهم ورث أخويا . فردت ابنتها: اللي هو كام يعني كده بعد السنين دي كلها؟ إسماعيل: ٥٠ ألف، هيبقوا كام يعني! فقالت: بس البيت ده اللي أوينا أنا وأمي، نروح فين؟ فقال: يباي مش مشكلتي، انتوا بقالكوا سنين في المحكمة عايزين الورث، وأنا عايز حقي في البيت، لما اجى واوافق اعطيكوا نصيبكوا تقولوا نروح فين؟ فقال خالها: ويعني فيها ايه يا حاج لو اتنازلت عن فلوسك اللي شاركت بيها في البيت لمرات أخوك وبنته؟ فزفر الرجل واقفًا: هترجع تقول لي مرات أخوك، دي اللي بهدلتنى فالمحاكم . ونظر إليها ليجدها خافضة رأسها نحو الأرض فأكمل: هو ده آخر كلام عندي، فكروا وردوا عليا، هروح مشوار وأرجع لكوا تكونوا اتفقتوا انتوا والست .
استمرت المناوشات بين ابنة سعاد وخالها، وعندما حاولا إشراكها بالأمر ردت: اعملوا اللي عايزينه، اللي تتفقوا عليه . فرد: يعني احنا فعلا مكناش طايلين منه حاجة، ده راجل ظالم، وبدل مياكلهم عليكوا أهو تعملوا بيهم مشروع، أو حتى تشغلوهم مع معاش المرحوم، تعرفوا تعيشوا يا بنتي، وكده كده بيتكوا قديم ومش يعني مساحة ولا حاجة، ضيق وبالبلا . فردت الابنة وهي تحاول الاقتناع: طيب وهنروح فين؟ دا لو قلنا له موافقين، من الصبح هيجى يقعد لنا في البيت . فرد خالها: تعالوا اقعدوا عندي، لحد متلاقوا شقة ايجار على أدكوا، والفلوس تستفيدوا بيها .

وهنا قامت سعاد مفزوعة: البيت . فرد عليها: من عدلتوا يا سوسو الفلوس تعيشوا بيها، أهو أي حاجة تيجى من الراجل ابن الظالمة . فصمتت مجددًا وبرزت الدموع بمقلتيها وغادرت هي وابنتها ليبتعدا سيرًا على الأقدام وأخذت الابنة تتحدث: هو صعب علينا البيت وكده يا ماما، بس احنا مكناش طايلين منه حاجة، والبيت قديم وعمرنا ما كنا هنبيعه، وهو واقف لنا ولو اتباع مش يجيب، ده أوضتين صغيرين، احمدى ربنا انه هيدينا ورثنا مش كده يا ماما، ماما . فانتبهت سعاد: خلاص هياخد البيت، البيت! وتوقفت بمنتصف الطريق لترتسم الحوائط حولها من جديد وتدس الرمال تحت قدميها وترتفع المياه لتغطي وجهها، وبتلك المرة لم تصرخ لكنها سقطت لتلتقطها ابنتها: ماما ماما الحقونى .

حروف امرأة

إنها السابعة صباحًا، نظرت "فريال" للساعة بغضب، فهي تدق ككل يوم بنفس الموعد، لكن ما الغريب اليوم، ورغم هذا كله حملت حقيبتها، لملمت شالها الأسود، ثم انصرفت مسرعة لتتجه صوب مكان عملها، وقفت لبرهة ونظرها يحوم حول تلك اللافتة بأعلى محلها، ثم أسقطت عيونها أرضًا وقامت بفتح المحل، دقائق قليلة ودخل العمال: صباح الخير يا أسطى .
فردت بصوت أقرب للرجال: صباح الخير يا أسطوات، يلا نكمل شغل امبارح .
دقائق والتفت كل منهم لمهمته اليوم، بينما قامت فريال بعدما وضعت شالها جانبًا وأسفل سيارة فاخرة نزلت، وبدأت عملها، مرت عدة ساعات عليها لتنتهي بنهاية اليوم: تعالى يلا منك ليه، اليومية تعالو يلا، كتر خيركوا النهاردة .
في تمام التاسعة كانت تغلق ورشتها، فتعود لمنزلها مجددًا وبالشرفة تجلس أمامها قدح من الشاي، لحظات من الشرود تملكتها، فكل من يلقي عليها التحية لا يذكرها سوى "أسطى"، بالفعل هي من قامت بفتح تلك الورشة بعد أن هجرها زوجها دون أن تعرف له عنوان، وبقيت وحيدة وسط تلك الجدران والحارة الكبيرة، هذا الرجل الذي ضحت بعائلتها من أجله ها هي بقيت وحيدة ولم تجد لها مهنة سوى تلك الورشة، فقد أحبت مهنة والدها منذ أن كانت طفلة ودومًا كانت ترافقه بورشته، عندما احتاجت للنقود لم تجد سوى مهنة والدها القديمة، فبدأت بها وها هي بعد عشر سنوات صارت الأسطى فريال، شردت طويلًا ثم قاطع هذا التوهان أحدهم: ها يا أسطى مش ناوية تحني علينا وتوافقي بقى؟
فانتبهت لترد: أهلًا يا معلم خير كنت بتكلمني؟!

فأعاد كلماته مجددًا: مش هتحني علينا يا أسطى .
ابتسمت عندما سمعت كلمة أسطى، وكأنها تسمعها للمرة الأولى: والاتنين اللي أنت متجوزهم يا معلم هتعمل معاهم ايه؟
أجاب الرجل محركًا فمه بيده ذات الأظافر السوداء: ولا يهمك أي واحدة منهم، المهم عندي أنت يا أسطى وأنتِ عارفة كده . فقالت وهي تحاول أن تنهي الحوار: خلاص يا معلم هبقى أرد عليك ربنا يسهل .
فقال وهو غير مصدق ردها هذا المساء: بتتكلمى بجد؟
فأغمضت عينها التي وقعت على يده الغارقة بالسواد: ما خلاص يا معلم، قلنا هنرد عليك الله .
انصرف الرجل سريعًا ليعود الشرود محله من جديد، وبدأت تلك المحادثة المطولة مع نفسها: يعني بعد كل السنين دي ماتجيش قسمتي غير مع الرجل ده، متجوز اتنين وعنده ست أولاد وكمان يعني مش . ثم راجعت نفسها ثانية مجادلة: يعني ايه متجوز وشكله مش اللي هو؟ أهو رجل بدل اللي سابك وأنت في عز شبابك، وهنا ضربت الكوب أمامها بيدها لينساب الشاي منه على مهل، في حين لم تنتبه لأي من ذلك ودخلت غرفتها مستكملة: سابك والله أعلم راح فين واللي أكيد متجوز وعايش حياته وأنا اللي عايشة . توجهت لمرآتها وهي تعيد النظر بوجهها: عايشة زي الرجل بس أنا مش رجل، أنا مش أسطى، مش أسطى، أنا ست ولازم أعيش ست . خلعت ذلك الإسدال عنها، أخذت تدقق بجسدها المنحوت، تركت شعرها يسدل على ظهرها فتساقطت دموعها وهي تقول وكأنها أفاقت اليوم: لازم أتجوز وأعيش حتى لو كان المعلم اللي بكره شكله، لازم أتجوز، بكره هقول له إني موافقة أتجوزه على اتنين، ومش عندي أي شروط بس نفسي أعيش، والمعلم ده هو الشخص الوحيد اللي شايفنى ست .
اختتمت ليلتها وهي تحفز نفسها بما يتوجب عليها فعله، وبالصباح نظرت لساعتها فها هي تدق ككل يوم، ارتدت شالها الأسود مغلقة به على جسدها، وكعادتها كانت بموعدها بالورشة، لتصطدم بنفس المعلم بالطريق: الرجل أهو، قولي له إنك موافقة قولي له .

اقترب منها وهو يشير لها بعينيه بطريق مستفزة، فأغمضت عينها مستنفرة نظرته، لكنها قاومت ذلك الشعور: لازم توافقي، أوعي تقفلي الباب .
ليبادرها المعلم: ها يا أسطى مش هتوافقي بقى؟
وافقي كده وشوفي أنا هعمل لك ايه، أجبلك شقة لوحدك بعيدة عن الاتنين التانيين، وهتبقى أنتِ الملكة بتاعتى بكرة هتشوفى .
صوت بداخلها ينادى من بعيد: أنت ست ولازم توافقي وتعيشي، وافقي، وافقي . حتى لمحته وهو ينظر لفتاة تسير من أمامه ووجدت أصابعه السوداء تتحرك على وجهه، فتذكرت زوجها وهو يأخذ حقيبته ويهرب بعيدًا، ها هي صورته تلتحم مع هذا الرجل .
لحظات من الصمت وهي تنظر بعينه حتى جمعت طرفي الشال حولها مجددًا: معلم دي آخر مرة تكلمني كده، وإن كان عالجواز أنت مدرتش؟ شطبنا وبعد كده عند الأسطى فريال وتقف عدل . اقتربت منه كثيرًا بعين حازمة: فهمت يا معلم . ثم ضحكت بسخرية وقالت: معلم أبو بودى شطبنا، افهم بقى . غادرها المعلم وهو يشعر بكم من الخزي لا يدري له تقدير، في حين ناداها العمال: في حاجة يا أسطى؟
لترد بكل قوة وهي تبتسم: في ايه يا أسطوات، دا أنا الأسطى فريال، هتخافوا عليا ولا ايه؟ ها، كله تمام خلصوا يلا .
ثم نظرت لوجهها بزجاج السيارة وهذه المرة ابتسمت متسائلة: في حاجة يا أسطى؟

خاتم ذهب

خرجت معالي مع ابنة اختها حتى تنتقي لابنتها شبكتها، دخل الجميع محل الذهب وبدأ صاحب المحل يعرض عليهم الأشكال الموجودة، أخذت معالي تنظر حولها بأشكال الذهب الكثيرة، والمختلفة فهذا لفتها شكله، والآخر هناك أعجبها بريقه، ذلك العقد كبير لكن هذا رقيق، فظلت عينها تلف هنا وهناك، حتى توقفت عند ذلك الخاتم وذهبت بعالم آخر: هذا الخاتم، أنا أعرفه . ثم اقتربت منه أكثر فأكثر: نعم أعرفه، إنه خاتمي، نعم، نعم خاتمي الذي اشتراه لي زوجي منذ سنوات، إنه كان خاتم زواجي، لكن هل من الممكن أن يكون هو نفسه؟ أتذكره ونحن بمحل ذهب قديم وكنت مع أمي وأختي ووالدة زوجي، التي كانت ترمقني بنظراتها الحادة القاسية، لكني كنت أبعد مخاوفي جانبًا؛ حتى أختار خاتم خطبتي بمن أحببت، عشقت وتمنيت كم كان رقيقًا حينها، وكانت نظرات عينه تصاحبني وكأنها ملاك يحرسني من أي سوء، اختارت لي أمي خاتمًا ثقيلًا، لكن والدة زوجي رفضت واشتد ضيقها، حتى وصل الأمر بينهما لحد التشاجر لولا تدخل زوجي فأنهاه سريعًا، كان يحبني وأكثر ما يخشاه هو مضايقتي وغضبي، وهنا قاطعتها ابنة أختها وهي تعرض عليها الأشكال لتساعدها في الاختيار، بالفعل تناست ماضيها للحظات، لكن سرعان ما عادت عينها تنصب على ذلك الخاتم القديم قدم قصة حبها لزوجها، فقد اختارت هذا الخاتم وقتها ليس لأنه كان الأفضل، لكنه كان الأقل ثمنًا، فهمها زوجها وعاهدها بالأفضل بعد الزواج، وهنا أسندت ظهرها على حائط من الحوائط الملفوفة بالمرايا، حتى وقعت عينها على صورتها وهي ترتدي حجابًا، لأول مرة تراه غير منظم، ووجهها الشاحب متناسق مع الحجاب، فراحت تحاول إعادة ربط حجابها لترتكز عينها على وجهها: لقد كبرت وتغير شكلي، فقد كان وجهي ممتلئ حتى كادت الحمرة تنبثق منه، عيني تلك العيون اللامعة ذبلت، وذهب

بريقها بعيدًا، هل هذا ما تفعله بنا السنين؟ أم نحن من نرتكب الخطأ بحق أنفسنا؟ دارت رأسها لبضع ثوانٍ لم تشعر بأحد حولها سوى صوت عقلها الذي ظل يحاورها، حبيبك منذ سنوات هو نفسه ذلك الرجل الذي تشاجرتي معه منذ قليل، تغيرت ملامحه هو أيضًا فلم يعد ذلك الشاب الصغير المولع بحبها، حتى كلمة حبيبتي قام بحذفها من قاموس كلماته اليومية، لكنها لم تعرف متى تحول هذا العشق بينهما لتلك الحالة الباردة، استعادت وعيها وعادت لتنتبه لعروس العائلة، لتجد فرحة الشاب بخطيبته وكم من الخجل يملؤهما، وتذكرت هي نفسها فرحتنا عندما تزوجنا، لم يعد شيء بالدنيا يعنيني ما دمت بحضنه، سعادتنا كانت بالغة، وكان الكل يستشعرها، لكن الأيام ودوامتها حتى بعد أن رزقنا بالأولاد، ازدادت متاعبه ومتاعبي معه حتى نسينا مشاعرنا بالطريق، لكنى لا زلت أحبه، وذلك الخاتم ذكرني بالكثير وهنا اقتربت منه، طلبت من البائع أن يريها إياه، فأمسكت به برقة وظلت تتفحصه ونظرت داخله، تهللت أساريرها وابتسمت لأختها وابنتها، ثم طلبت من البائع أن تشتريه، وعندما سألوها عن السبب قالت: هذا اسمي واسم زوجي، إنه خاتم زواجي .

عادت فرحة بنفس مطمئنة، قبل قدوم زوجها أشعلت الشموع بالمنزل، وتلك الأغنية القديمة التي كان يعشقها، وفور دخول زوجها احتضنته بقوة وأخبرته كم تحبه، فسرعان ما تلاشى اندهاشه ليبادلها الاحتضان، ويقبل يديها حبًا لتسقط عينه على خاتمها، فتتسع الابتسامة بوجهه وأخذت تخبره بما حدث، إلى أن عثرت على خاتم زواجها .

يوم من حياتي

عادت "قسمت" من المدرسة لتخرج الدجاج من الثلاجة، وتسرع في تقطيع الخضروات، واثناء انشغلت في تحضير الطعام دق جرس المنزل، فهرولت لتفتح إلى "آسر" و"كريم"، اللذان استقبلاها بالصراخ والبكاء، فقد اختطف كريم من آسر حقيبته، فقام آسر بركله بقدمه، ففتحت لهما التلفاز على كرتونهما المفضل ، لتعود مجددًا إلى مطبخها الذي صار يعج بالأشياء هنا وهناك، وهي تحاول أن تنظف الدجاج، لتغسل تلك الخضراوات، وتجهز الأرز، هنا دق هاتفها الجوال فالتقطته لتجيب، وهي تقوم بفرم الطماطم، فتظل تستمع إلى أختها التي تشكو من زوجها، أخذت قسمت تحاول تهدئة الوضع عند أختها، لكنها ظلت تتحدث حتى دق الباب مرة ثانية، ففتحت وهي تمسك هاتفها لتسرع "دنيا" لتحتضنها وتسألها عن الغداء، لتغلق بعدها الخط مع أختها، وتقف دنيا تقص لها ما حدث اليوم بمدرستها الثانوية، وكيف كانت الفتيات اليوم، وكيف لاحظت دنيا تغير نرمين صديقتها، وأبرزت دنيا دهشتها لوالدتها فقد كان وجه نيرمين غريبًا لما وضعته من أدوات تجميل جعلت مدرسة التاريخ تنهرها، وهنا بدأت قسمت تضع الأواني على النار، أثناء خروج دنيا قامت قسمت بتبديل ملابسها، وتوضأت لتصلي وهي تنظر لولديها اللذين عادا ليتعاركا من جديد، وبعد أن فرغت من صلاتها، استغفرت ربها فلم تكن تصلي بخشوع، ثم تعود دنيا تحدثها من جديد عن ذلك المحل الرائع الذي اكتشفته هي وصديقاتها أثناء عودتهن من المدرسة، وأن هناك طقم أعجبها وعندما سألتها قسمت عن ثمنه، أخبرتها أن الطقم كاملًا يتكلف سبعمائة جنيه، فأبدت قسمت امتعاضها الشديد من هذا الطقم، ورفضها شرائه هذه الأيام، وأخذت تخبر ابنتها بالقائمة الطويلة لأسعار الفاكهة والخضروات واللحوم، وعن رسوم المدارس الأجنبية لأخواتها، ففرت دنيا هاربة من كم النقود التي سمعتها،

لتجلس على فراشها ممسكة بهاتفها، بينما تابعت قسمت الطعام وبدأت في غسل الأواني بالحوض، حتى كادت أن تفرغ منها، ليعود زوجها أحمد فتستقبله بابتسامة متعبة، لكنه وبعد أن خلع ملابسه صار يحدثها عن عمله، وكيف دارت اليوم مشكلة بسبب زميله عبد الفتاح، الذي تشاجر مع درية بسبب صوتها العالي بالمكتب، ليتطور الأمر إلى وصول الأمر للإدارة، ثم قامت قسمت بتحضير طاولة الطعام، ليلتف الجميع حولها ويتناولوا الطعام في ألفة ومحبة، وفي خلال ثوانٍ يستقل أحمد الفراش، لينال قسطًا من الراحة، بينما استمرت قسمت في تنظيف المنزل، وإعادة كل شيء بمحله، حتى أتاها الثنائي بواجباتهما، لتتعارك لساعات معهما حتى توصل المعلومة لمخ كل منهما، وبمجرد انتهائها من المصارعة اليومية، يغادر أحمد المنزل كعادته كل مساء، لتدخل محله تلك الجارة إيناس، التي قامت بتكسير رأس قسمت من كم الأخبار عن الجيران، حتى ضجت قسمت فانسحبت إيناس، لتعود دنيا محاولة إقناعها بنفس الطقم الجديد، ثم تخرج قسمت فقد حان وقت تحضير الساندوتشات للصغار، لتخلدهم للفراش لكن بعد أن يكون جسدها غير قادر على الحركة، فتستسلم للنوم هي الأخرى مسدلة الستار عن يوم بحياتها، مثله مثل كل يوم، ليعود أحمد بالمساء وعندما يحاول إفاقتها تضع وسادتها فوق رأسها، فيطفئ أضواء المنزل وينقضي يوم من حياة الأم قسمت .

أجمل قصة حب

دخلت يسرا على جدتها الحجرة لتجدها جالسة على الكرسي المقابل للشرفة، فقاطعت يسرا شرود جدتها: تيته أنت صحيتي امتى؟ فردت بهدوء: من شوية . فعادت يسرا تكمل وهي تقترب من جدتها: مخرجتيش ليه زي موعدتينى تحكي لي القصص اللي قولتي لي عليها؟ فقالت وهي تبتسم: طيب يلا ساعديني أخرج معاكى ونقعد برا .

بعدما استراحت في جلستها، كانت يسرا جاهزة لتقص جدتها لها ما وعدتها به: مالك يا يسرا لحوحة كده؟ فقالت لها: أنت قولتي لي هتحكي لي قصص رومانسية، وأنا بموت في الرومانسية . فضحكت جدتها وهي تضرب على يدها برفق: طيب يا ستي أنا هحكي لك قصة حب، ففرحت يسرا وقالت: أنا مبسوطة أوى، يلا ياتيتة ابدأي . فابتسمت جدتها وبدأت تقص القصة: كان ياما كان . فقاطعتها يسرا: وبعدين يا تيتة فالتشويق ده؟ هو أنا لسه صغيرة ادخلي في التقيل على طول . فأكملت جدتها: الحكاية عن راجل اسمه مرزوق، كان راجل طيب أوى، بس كانت حالته المادية على أده شوية، ربنا رزقه بخمس أولاد، تعب في تربيتهم هو ووالدتهم، لحد ما خلصوا واتخرجوا، واللي اتجوز منهم، واللي سافر، وكانت عندهم بنت وحيدة، كمان سافرت مع جوزها ومش بتنزل غير كل فين وفين، فضل في البيت مين؟ عمك مرزوق مع مراته، كان اسمها مديحة، كانت برضو ست طيبة، وفضلوا عايشين حلوين متساندين على بعض لحد اليوم اللي حست مديحة بالتعب، فجري مرزوق على الدكتور، وهناك عرفوا إن الكلى عندها تعبت، وده قصر معاها أوى، وخلاها مش قادرة تعمل حاجة، يوم ورا يوم مديحة بقت تهبط أكثر، بس عمك مرزوق كان يقومها من سريرها بالراحة، وكان يسندها على كتفه، ولو مش قادرة تقوم كان بيحضر لها الأكل ويودهولها بنفسه، كانت بتزعل عشانه وتفضل تعيط على تعبه

معاها، وازاي هو كمان راجل تعبان، ولا حد من عياله ريحه ولا بيساعده في حاجة، لكن الوضع استمر على ما هو عليه، كان بيجيب دواها قبل حتى دواه، ويعطهولها في ميعاده، بس للأسف حالتها بقت بتسوء يوم عن يوم، ولما قعد مع الدكتور قاله: وضع الكليتين منتهي يا عم مرزوق، مفيش أمل غير الغسيل، ممكن يعني تتحسن شوية . فبدأ عم مرزوق يأخذها ويروح جلسات غسيل للكلى كل أسبوع، وعلامات التعب والمرض بدأت تظهر على مديحة، لكنه كان دايما يحسسها أنها أجمل ست في الدنيا، وصلت لدرجة ايه يا بت يا يسرا، كان بيسرح لها شعرها ويبوسها من جبينها برفق وحب . فقاطعتها يسرا: يا سلام في حد كده؟! فقالت لها جدتها: مش مصدقاني، عمك مرزوق ده كان حنين مع مديحة كده . فقالت: طيب كملي يا تيتة، وبعدين؟ فقالت: فضلوا يروحوا جلسات الغسيل الكلوي لفترة، ومديحة تتحسن يومين يكون مرزوق أسعد واحد في الدنيا، وبقيت الأسبوع تعبانة وراقدة في سريرها، وهو قاعد جنبها، لبيضحكها لبيدعيلها بالشفا، ولما سأل الدكتور: دي حالتها تتحسن يوم وعشرة بتبقى أصعب . فقال له الطبيب: هو الغسيل كده يا حاج بينشط الكبد شوية، وبعدين يا حاج هما الكليتين تعبانين خالص، كتر خير الحاجة انها قادرة تستحمل الوجع ده كله . فقاطعه مرزوق: بس أنا عايز اريحها من ألمها . فقال له الطبيب: هو دايما بيبقى حل الزرع للكلية أفضل حل، بس بتتوقف على المتبرع . فقال له مرزوق: والعملية دي بتبقى خطيرة؟ فقال الطبيب: طبعًا فيها نسبة خطورة، بس النجاح فيها بيكون أكتر . فقال له: ينفع أتبرع لها أنا؟ فقال له الطبيب: سنك مينفعش يا حاج، المفروض شاب . فاتفق مرزوق مع الطبيب على إجراء تلك العملية لمديحة وبدأ يتصل بولاده وقال لهم اللي الدكتور قال عليه، لكن العيال كلهم حتى البنت قالوا له معنديهاش مانع، وهنبعت لك فلوس العملية وزيادة كمان، فقال لهم: والتبرع؟ فمحدش رد عليه فقعد يفكر مع نفسه، ربتهم وتعبت فيهم ودلوقتى هي محتاجة حتة منهم عشان تعيش، هما رافضين وشاطرين بس يبعتوا الفلوس، عشان محدش فيهم يحس بالتقصير، فضل عمك مرزوق يفكر يعمل ايه وفي الآخر صمم مع نفسه إن هو اللي يتبرع

لزوجته وحبيبة قلبه، هيكشف على نفسه ولو لقى نفسه تمام هيبتدى في الإجراءات، وفي ليلة كان سهران جنبها قعد يبص لها ويفتكر ازاي كانت جميلة، وإنها ياما استحملت من أهله المآسي، وكانت دايما تبتسم له ومتحسسوش بزعلها، ودايمًا كانت الإساءة تردها بالحسنى، كان في أول حياته بيعمل فول وطعمية في الحارة، وكانت هي تجهز له كل حاجة، وقد ايه شافت وصامت معاه عن كل حاجة كانت بتحبها، بس عشان كانت بتحبه وهو كمان كان رحيم وحنين أوى عليها، وفجأة قال لنفسه: والله يا مديحة حتى لو هموت، بس لازم أديكى حاجة مني تسكن جواكى، وتريحك أنت ياما ريحتينى، وكنتى الايد الوحيدة اللي بتطبطب علي، وعمرك مقابلتينى غير بالابتسامة واللين .

وفعلا يا يسرا راح عمل اشعة عالكليتين عنده، ولما لقى نفسه كويس راح لدكتورها ووراه الأشعة، فالدكتور قال له: بس يا عم مرزوق العملية صعبة على سنك، انت . فقاطعه وهو يبكي: اللي هي ياما ادتهم من روحها ودمها مش راضيين، أنا الأولى بيها، ولو أطول أريحها من وجعها بأي طريقة هعمل كده . فسكت الدكتور ومعرفش يكمل كلامه، وقصاد تصميم مرزوق كانت العمل العملية اللي وصى فيها مرزوق الدكتور ميقلش لمديحة إن هو اللي هيتبرع لها، يوم العملية خرج الاتنين وهما متساندين على بعض وهو قاعد يصبرها إنها هتكون بخير بإذن الله، وهترتاح من كل وجع، فعلا دخلت الاوضة، كمان مرزوق دخل الاوضة اللي جنبها بعد ما عملولهم كل الفحوصات، بس الدكتور لآخر لحظة فضل يقول له: يا عم مرزوق في خطر يا ريت تراجع نفسك . لكنه فضل يستغفر ويدعي ربنا إن العملية دي تعدى على خير، وفعلا بدأوا في العملية وهنا سمعت مديحة واحدة من الممرضات بتقول: شفتي الحب دي جوزها الراجل الكبير هو اللي هيديها كليته . ولقت التانية بترد عليها: بس ده ممكن يروح فيها . قالت لها: شفتي ياختى هو يموت بس هي تعيش . ضغط مديحة علي ودقات قلبها زادت، وساعتها دخل الدكتور يعمل العملية، وخدت البنج من هنا وراحت فعالم تانى وفي نص العملية لاحظ الدكتور انخفاض نبضات مديحة، لحد ما راح النبض نهائي، ساعتها كان مرزوق عمل العملية بس تحت العناية . فصرخت يسرا: ماتت يا ~~حرام~~ وعم مرزوق يعمل ايه من غيرها؟

أكملت الجدة: فضل ساعات تحت العناية ولما بدأ يفوق بدأ يسأل على مديحة كتير، بس بعدها سمع وشوشة الممرضات حوليه، وسمع كلمة ماتت، واتأكد من كده لما جه يسأل الدكتور ومدلوش رد على سؤاله، فضل طول الليل في أوضته ينازع ويصرخ باسمها بصوت عالى، كان بيحبها اوى كان نفسه هي تعيش، الصبح جت الممرضات تفتح أوضته لقوه قابل ربه، فصرخت يسرا مجددًا: هو كمان . وبدأت تبكي على مرزوق وزوجته . لكن الجدة أكملت: هو ميقدرش يعيش من غيرها وهي ماتت لما حست ان هو ممكن يموت ويسبها، هو ده الحب يا يسرا أهم حاجة الوفاء والاخلاص والتضحية، عشان اللي بنحبه بصدق . تركت يسرا جدتها ودخلت حجرتها وهي منهمرة في البكاء على عم مرزوق وزوجته مديحة، بتلك اللحظة شعرت بكم الحب الحقيقي وما يعنيه بالفعل .

هناء

استيقظت هناء على صوت الهاتف وهو يرن، فالتقطته بسرعة ترد: آلو أيوة، أيوة يا حسن، ايه مشيت برضو؟ ليه؟ ثم توقفت قليلًا لتعاود التحدث مجددًا: آلو، حسن، آلو، آلو .

ألقت الهاتف بعيدًا باكية بصمت حظها التعس بتلك الحياة، فلم يمهلها القدر قليلًا لكي تستريح، فقد آلمها العذاب الذي صارت معتادة على طعمه المر بفمها، وبعد لحظات من التأمل لتلك السنوات القاهرة، وخوف من سنوات قد تأتيها قاتلة، آتاها والدها المسن: في ايه يا هناء ايه اللي حصل يا حبيبتي؟

ردت عليه والدموع قد انحسرت تمامًا من مقلتيها: حسن نفذ اللي في دماغه وسافر لمصر، وخد كل هدومه وهو عارف إنى مستحيل أروح معاه .

فرد والدها: وبعدين في حسن ده مش عايز يتعدل أبدًا، طيب متكلميه تانى . فقاطعته بعصبية: أكلمه تانى؟ مش هكلمه ده سابنى ولا فارق معاه، كفاية الديون اللي عليه والشيكات اللي ماضيها طبعًا كله في وشي .

رد عليها والدها محاولًا استجلاب التعقل: بس يا هناء لازم تصبري، أنت عارفة دي تانى جوازة يا بنتي . فقاطعته والدموع تنهمر بكثرة من عينها: عارفة دي تانى جوازة وإن عندي عيلين، واحد منه ومن الاولانى واحد، بس أنا عشان الكلمتين دول اتحملت فوق طاقتى من ألم، وقلة اهتمام، وقلة رجولة، ده مش راجل ده حيوان .

فرد والدها: يعني ايه؟ ناوية على ايه؟

فقالت وهي تمسح دموعها بيدها المرتعشة: زيه زي التانى، وهو مسبليش حل تانى، هو سابنى في ديونه وقرفه ومشى .

احتضنها والدها بقوة لترضخ بين ذراعيه كالحمامة الجريحة، وفي غضون أيام قليلة كانت بمنزل والدها هي وولداها الاثنان، ناقمة على كل شيء، غير شاعرة

بأي أمر سوى بهذين الصغيرين، وكيف لها أن تنفق عليهما، وبالفعل بدأت أولى خطواتها باليوم التالي في البحث عن عمل تستطيع الانفاق منه، حتى على نفسها حتى وجدت وظيفة بالأخير، استمرت بعملها لمدة أسبوع كامل حتى عادت بأحد الأيام لتجد والدها ووالدتها باستقبالها: هناء . فترد: نعم يا بابا؟ في حاجة؟ الولاد كويسين؟ وهنا ردت والدتها: آه يا حبيبتي كويسين، الحمد لله . فقالت متسائلة: امال في ايه؟ فتولى والدها الرد هذه المرة: حسن، بعت ورقة طلاقك . فهمت بالرد لكنها صمتت وانصرفت مسرعة صوب حجرتها ثم عادت مندفعة والبكاء يملؤها: والفلوس اللي عليه للناس؟ فقال: هو كلم عمك وقال له انه هيدفعها للناس، وهيبقى ينزل يشوف ابنه كل فترة .

فعادت لحجرتها مرة أخرى وهي تتمتم: يهمه ولاده أوى، دا حيوان، حيوان . تملكتها حالة من الحزن، تصورت في بكاء طويل حتى قامت تكسر كل الأغراض حولها، مرت الأيام متعاقبة، وكأنها أسواط تجلدها على جسدها، الذي نحف كثيرًا حتى وجهها اقتضبت ملامحه، فلم تعد الابتسامة تعرف له عنوان، حالة من اليأس الشديد صاحبتها، حتى ذلك اليوم وهي عائدة من عملها، فوجدت والدها ووالدتها بانتظارها: هناء بابا عايزك في موضوع يا حبيبتي . فردت: خير في ايه؟ فقال لها: دلوقتى يا بنتي في عريس عايز يتجوزك . فقاطعته: بتقول ايه؟ فقال لها: بقول عريس وجاي يتجوزك . فقالت بصوت يشبه الصريخ: أنتوا عايزين مني ايه؟ مش كفاية . فقال لها: ده راجل مراته ميتة، وموافق إن العيال تعيش معاه، ويمكن ده اللي يسعدك يا بنتي متدريش الخير فين . فصرخت مجددًا ملقية بحقيبتها بعيدًا: ما أنا قلت على اللي فات يمكن يسعدنى، ولا سعدنى ولا شفت ريحة سعادة، ومشفتش غير عيشة كلها مر وذل، لسه هقول يمكن، وتقولولى سعادة . فعلا صوت والدها وكأنه يعنفها: أنت عايزة تعيشى لوحدك وتشتغلى وتتبهدلى، وفيها إيه لما يجى واحد يكفلك ويعيشك عيشة كريمة . فتجمعت الدموع بعينيها وقالت بصوت مدمع: متخافش مش هتقل عليكوا، أنا هعرف أصرف على نفسي ولا هحتاج لحد . فصفعها والدها بقوة ثم احتضنها سريعًا: ليه هو أنا عمري كليت منك أو أخواتك، ده أنت روح قلبي

وبتقطع عشانك، بس نفسي تعيشى سعيدة . فصمتت لتدور الثواني مسرعة، لتعقبها الدقائق لتكمل عدة ساعات لليالي متعددة، لم تعرف عيناها فيها النوم، ليدخل والدها مجددًا: ها يا حبيبتي عمك أحمد بره وعايز رد أقوله ايه؟ مش احنا اتفاهمنا على كل حاجة؟ يا هناء أقله ايه؟ فردت بنبرة حزن كبيرة: مش عارف تقوله ايه؟ قوله موافقة، هو أنا أطول . فخرج والدها فرحًا ليتمم الزيجة الثالثة لها، في حين فرد الهم أذرعه ليتشعب بجدران قلبها .

وحين تغيب السعادة فلا مكان سوى للحزن، فلتسكن يا حزن قلبها، فلم يعد أمل هناك وعجبي .

ضل رجل

تحدثت السيدة: احنا هننقل بكره، ومش عارفة أجيب مين ينقل لي الحاجات دي كلها .
فردت عليها جارتها: عبير روحى بس قولي لها وهي هتخلص لك الليلة، بس ابقى ابسطيها .
قالت: عبير مين؟
ردت عليها الأخرى: عبير زوجة سعد .
فقالت متعجبة: هي بتشتغل كده بس دي شغلة رجالة .
فقالت لها: لا دي هي بتشيل كل حاجة، ولو عايزاها تنضف وتكنس وتعمل لك كل حاجة، أصل جوزها قاعد مش بيشتغل وهي بقى تشيلك ولغيرك تمشى حالها هتعمل ايه .
ردت عليها وقد بدا عليها التأثر: غلبانة أوى ربنا يصلح أحوال الناس كلها .
بالصباح كانت عبير بمنزل السيدة تساعدها بنقل كل أغراض المنزل، وانتهزت السيدة الفرصة لتجذب معها أطراف الحديث: مش تقيل عليكى الحاجات دي كلها يا عبير .
قالت وهي تلتقط الغرض فوق الآخر، وتحمله على كتفها ليتراجع حجابها وتظهر خصلات شعرها غير المرتبة: لأ هاتى كمان دول أشيلهم، يلا عشان نخلص بدرى لأن ورايا شغل في حتة تانية .
تفاعلت السيدة معها: شغل فين تانى يا عبير؟
فردت عبير وهي تتحرك بالأغراض: واحدة هنا بآخر الشارع بنتها راجعة من السفر وعايزانى أنضف لها البيت .
تأثرت السيدة بكلمات عبير كثيرًا فعاودت السؤال عليها: بس أنت كده هتتأخرى ولادك مين قاعد معاهم؟

نظرت إليها عبير بيأس كبير ثم قالت: هودى الحاجات دي يا هانم وأجيلك تانى .
تركتها السيدة تغادر ووجها وكامل هيئتها لا تفارقانها، كيف لسيدة تتنقل من مكان لمكان بتلك الملابس، فهي للبيت فقط، لكنها شعرت أيضًا بهم كبير نحوها جعلها تنتظرها حتى عادت: ها هبطتى يا عبير اتفضلى كوب عصير البرتقال ده حبيبتي .
فقالت: شكرًا بس نكمل الحاجة وبعدين لما أخلص أبقى أشرب، مع انى بتهيألى يدوب أخلص من هنا، ومش هلحق أشرب حاجة يلا كله نصيب .
فتابعتها السيدة: هو ايه كله نصيب يا عبير ها؟
فابتسمت بثغرها الواسع لتظهر أسنانها البيضاء الكبيرة الحجم قليلًا، وتكسو ذلك الوجه الأسمر خفة دم استشعرتها تلك السيدة أمامها: مش كل حاجة في الدنيا برضو قسمة ونصيب .
فردت في ثبات: فعلًا يا عبير كل حاجة في الدنيا قسمة ونصيب، وأنتى نصيبك ماله؟
فقالت وهي ترتشف آخر ما بالكوب: نصيبى انى أشيل من هنا لهنا، وحتى لو هبطت وفكرت مجرد تفكير انى أقعد، مين هيأكل عيالى يا ست، فبقوم وأتحامل على نفسي وأجيب قوة وعافية مش على جسمى عشان بس لقمة العيش .
فعادت لتسألها السيدة: وجوزك يا عبير؟
غابت الابتسامة عن وجهها وعاودت حمل الأغراض، ولم تلتف أنها لم تجبها، فتفهمت السيدة ما بها من وجع، فتركتها تنقل في هدوء حتى انتهت تمامًا، أخذت أجرتها مقابل عملها وانصرفت لتجلس السيدة، وليس هناك من شيء يضرب مخيلتها سوى نظرات عينها عندما سألتها عن زوجها: كم هو حزين حالك ستاتك يا بلد، بلد ليس للفقير بكِ مكان .
بالصباح خرجت المرأة وهي تحاول البحث عن عبير، بالفعل تعرفت على بيتها لتقف صامتة أمام البيت، عندما سمعت تلك المعركة الحامية الأطراف بينها وزوجها، الذي يعاقبها على سوء خلق ابنها ويقوم بضربه بقوة، وهنا فوجئت

بهروب الولد من البيت، وعندما حاولت عبير الخروج خلفه لم يدعها زوجها، بل قام بضرب رأسه برأسها بقوة، ثم فر هو الآخر لتجلس باكية، هنا دخلت السيدة وعندما رفعت وجه عبير ابتسمت لها: كنت جاية عشان أجيب لك الكيس ده، في هدوم كتير يا حبيبتي ليكى ولأولادك .

ابتسمت وعينها ممتلئة بالدموع: متحرمش منك يا هانم بس والله بجيبلهم كل حاجة، حتى شوفى هدوم العيد بتاعتهم . مشت بالحجرة وهي تتوجع لكنها أمسكت بالملابس بطريقة هيستيرية وهي تقول: والله أهم حلوين أهم .

سألتها السيدة بتأثر: قاعدة معاه ليه؟ أنا كنت واقفة عند الباب وشفته ضربك ازاي .

فانهارت عبير باكية حتى سمع صوتها الكثيرين، فعاودتها السيدة متسائلة وكأنها تعنفها هذه المرة:

ليه راضية بالوضع ده ليه؟

فقالت عبير بصوت هادئ هذه المرة: أهو ضل راجل ولا ضل حيطة .

صمتا قليلًا ثم وضعت السيدة الكيس وهي تربت على كتفها، أعطتها تليفونها ثم انصرفت، وهي تتعجب فهناك أناس كثيرين يقاومون الدنيا، وما فيها تحت شعار "ضل راجل" .

ويا للعجب فضل الحيطة قد يكون أكثر أمنًا من ضل الرجل .

ورود ذابلة

قامت الزوجة متثاقلة، أزالت خصلات شعرها المتناثرة بأصابعها المرتعشة، لتسير بخطوات متأرجحة، حتى وصلت لخزانة ملابسها، فتحتها بقوة لتدور عينها في دائرة، كأنها لا ترى شيئًا أمامها سوى تلك الصفعات المتلاحقة، التي جعلتها تذهب بعيدًا في عالم اللا نهاية، التقطت تلك العباءة أمامها، ارتدتها بصعوبة فجسدها متعب من هول ما ضربت، لتسقط عباءتها لتخفي آثار كدمات بكل جسدها، ثم خرجت وهي غير مستوعبة، حتى وصلت لدرجات السلم، الذي جعلها تتهاوى بذكرياتها معه كيف كانت ومعه إلى ما وصلت ،كيف كانت الزهور تداعب وجنتيها الجميلتين التي تتسع معها ابتسامتها كصباح مشرق جميل، لتلك العيون التي غطتها الهالات، بينما كانت تشع بريقًا يخطف من تسقط نظراته عليها، حتى وصلت لمنتصف الدرج، توقفت تستريح، فتثاقلت عليها صور ذلك الجاني، الذي طالما سامحته وغفرت جموده وتكبره لعلمها بحبه الشديد لها، لكن من يحب لما يجرح ويقصف كالقتلة والمجرمين، كانت تتناسى قسوته عندما يعود بالمساء حاملًا باقة ورد تحمل اعتذارًا منه على ما اقترف دون أن يشعر، فتسامحه كأي امرأة تريد الاستمرار بالزواج، وبتلك اللحظة كان الزوج خارج المنزل يلوم نفسه على ما فعل بزوجته التي طالما حلم بها، كانت هي أوج ما يريد، أحبها كثيرًا ولكنه يراها عنيدة تتمسك بما تريد ولا تحيد عنه مهما حدث، هو الآن غاضب من نفسه، يجلدها يعذبها فهي تحمل ابنه بين أحشائها، هذا الابن الذي يحمل قطعة صغيرة منها، هي النسيم الذي يتنفسه، الدنيا بما تحمله من معنى، لكنها تلك اليد التي أتمنى اليوم أن أبترها، لا أشعر بها سوى وهي تتهادى على وجهها البريء بالضرب، لا أشعر بنفسي، لكني مذنب بحقها وحق ابني، كيف تسامحني وقد دمرت كل ما هو جميل، لكنها دومًا تغفر لي ما أقترفه، دائمًا تزيل غباري لتكشف وجهي الأصلي، هي

تعرفني كثيرًا لذا ستسامحني بالتأكيد، هب واقفًا بعدما أنهى حواره المعتاد مع نفسه، ليسرع الخطى في حين تتأرجح هي بخطواتها حتى تسقط على الدرج، فيتهافت الجميع يحملها كجثة منكهة ميتة أرهقتها الليالي بخيوطها الشفافة التي التفت بمنة ويسرة لتشق طريقها حول رقبتها الصغيرة فلم تعد قادرة حتى على التنفس، فأين الهواء بذلك العالم الملوث بالأمراض؟ وما أكثر من مرض النفس؟ إن نفسي تؤلمني تدق سيوفها بجسدي كله، حتى تشققت ملامحي، باتت مغايرة فلتحملوني بعيدًا عن هنا، احملوني بعيدًا عن هنا . كلمات ذكرتها نفسها الحزينة، ليعود الزوج حاملًا زهوره بيده فيصطدم بمجموعة الناس وهم يحملون زوجته للمستشفى، فيسرع خلفها كطفل صغير تتساقط دموعه خلف والدته، حتى يصلوا إلى المستشفى وهنا تتكرر الكلمات من حوله على لسان الطبيبة والممرضة بأنها حالة إجهاض، فيجلس على المقعد بحسرة، لكن يده لم تزل تحمل تلك الباقة لزوجته، غابت الزوجة في غرفة العمليات طويلًا ليخرج الجميع بعدها يهرول وقدماه تحاربه نحوهن، لكنه يصل ودون سؤال منه صفعته الطبيبة على وجهه، عندما اعتذرت منه مكررة نفس الجملة التي يسمعها بالأفلام، لكنه ينهار وتتساقط ورداته من يده، واحدة تلو الأخرى، كسقوط لحظاته حبه بمحبوبته الجميلة، ليثور غير مصدق ما حدث، ويدخل بسرعة نحوها يحدثها معتذرًا منها على قسوته التي لم يعرف يومًا أن يتخلى عنها، أخذ يقبل يدها ووجهها طالبًا منها العفو والمغفرة، حتى أخرجوه حتى تستكمل إجراءات خروجها من المشفى، فيخرج خافضًا رأسه مترنحًا هنا وهنا، حتى داست قدماه تلك الزهور على الأرض حتى سحقتها كلها .

طلقات الزمن

مع دقات المنبه نهضت هبة مسرعة وفي غضون دقائق كانت قد أنهت ملابسها مستعدة للخروج، خلال تلك الأثناء عاد الوالد موصدًا الباب خلفه بقوة، لتخرج الأم منزعجة فيدور حوار بينهما: في ايه حصل ايه؟ فقال لها: أنت بتزعقي ليه؟ الباب اتقفل جامد غصب عني . فقالت وعلى وجهها علامات الضيق: هو اللي اتقفل ولا أنت اللي بمجرد متيجى ناحية بيتك ونفسك اللي بتتقفل . فقال لها وهو غاضب: أنت بتقولى ايه يا ست أنت، هو أنا ناقصك . هم الأب بدخول حجرته لكن الأم كانت مصرة فاستوقفته مجددًا: ناقصني وداخل وعلى وشك شبورة هو أنا ايه مش انسانة عندي لحم ودم وبحس برضو؟ فقال لها: في ايه؟ ايه اللي جاب الكلام ده دلوقتى؟ وبعدين كفاية قدام بنتك اللي واقفة . وهنا تنهدت هبة التي ظلت منصتة لهما وكأنها تشاهد حلقة من حلقات المسلسل التركي الذي تعكف على مشاهدته دومًا، لكنها نظرت بساعتها فلم يتبق على موعدها سوى القليل، فوقفت أمام المرآة بظهر الباب لترتب ملابسها إلا أنها انتهت عندما سمعت صوت والدها المرتفع كالجبال الشاهقة، فتتبعتهما من جديد حتى تصل لنهاية ذلك الفصل بهذا اليوم: مش كفاية لا أنا عارفة أعيش زي مخاليق ربنا وعايشة على الأد علطول . فقال لها وهو يزمجر كالأسد: مكانش حد ضربك على ايدك توافقى تتجوزينى فقير، مش عجبك دلوقتي يا هانم مش عاجبك . فقالت وهي تتكئ على الفراش خلفها: مبصتش لا لفقر ولا لغنى مشيت ورا احساسى وقلبى . فضحك الأب بقوة، وهنا غضبت هبة وتمسكت بباب الحجرة وهي مشفقة على والدتها التي نظرت له بانكسار، وهو يستطرد: احساسك هو أنت بقى عندك احساس ما خلاص ولا احساس ولا اهتمام ولا أي حاجة، الزمن . وهنا كادت عيناه أن تخرجا من مقلتيه: الزمن هدنا يا سامية . هدأ الأب وهو يكمل: مكنتش كده ومكنتيش كده، بس احنا بقينا زي ما أنتى

شايفة . فقالت وقد دمعت عينها بالكامل وبدا على صوتها الحشرجة: آه اتغيرنا، ومش اتغيرنا بس، احنا اتبدلنا من عصفورين محبوسين مع بعض، فرحانين انهم بس مع بعض، لاتنين أسود مفترسة مستنين يخلصوا على بعض . دق تليفون هبة مرارًا وهي لم تسمعه، فقط تسمع حوار والديها الذي ضرب على أوتار قلبها الوليد، فيكمل الأب: خلاص يا سامية بقينا أسود، يعني حيوانات مفترسة . فقالت وهي غير مبالية: فعلًا حيوانات كل واحد مستنى للتانى على غلطة، وكأنه بيحاسبه ازاي خلاه يحبه ويختاره، أنت . فنظر لها بقوة لتكمل: كل يوم بحس انك بتعاقبنى إنى اخترتك . فقال لها: وانتى دايمًا بحسه فيكى حتى لو مش بالكلام فعنيكى بشوف .

صمتا الثنائي قليلًا لتعود الدقات مجددًا، فتلتفت هبة لهاتفها لتجد اسم أحمد الذي ظل يدق، لكنها نظرت له نظرة يائسة لتعود بخطوات بطيئة لحجرتها، ملقية جسدها الذي تهالك وكأنه كان يسير طريق طويل وشاق وتحدث نفسها: ما هما كانوا بيحبوا بعض يوم من الأيام زيي أنا وأحمد، واهو كل يوم بيحاسبوا بعض وكأنهم في محكمة، وللأسف هما النهاردة لخصوا القضية ببساطة هما الاتنين، اكتشفوا انهم اختاروا غلط وفضلوا يعاقبوا بعض بالعصبية والمعاملة اللي مش كويسة، حتى عقابهم كان بيوصلنى يوم بيوم، بس الحب ده شيء جميل والاحساس اللي بحسه بيحسسنى بالسعادة . ثم عادت لتقاطع نفسها: ما هي قالت ماما قالت إن احساسها هو اللي حركها لحد محبسها معاه في قفص واحد، حتى الاحساس النهاردة هما فقدوه بس . توقفت لتتابع: مفيش بس، هما حاجة واحنا حاجة، عمرنا ما هنجلد بعض كده، ونعري نفسنا قدام بعض، لكن مين عارف يمكن الدايرة تدور ونبقى نسخة مصغرة منهم طول ما احنا عايشين ومش معانا .

بعد مرور بضع دقائق، كانت هبة قد خلعت ملابسها لتعود مغلقة نوافذ حجرتها الصغيرة، وعندما همت لتغلق باب الحجرة وجدت والدها يجلس هو ووالدتها والطعام بينهما وشاشة التلفاز تضيء من بعيد، وعينا كل منهما ترتكز على ذلك الجهاز الدوار، فأغلقت هبة الحجرة وعادت للنوم من جديد .

شخبطة أظافر

نادتها جارتها بصوت مرتفع: نبيلة رايحة فين بدرى كده؟ ده احنا لسه الساعة سبعة الصبح . نظرت إليها بعمق ثم لملمت أطراف عباءتها السوداء وثبتت حجابها ثم انصرفت وهي هائمة على وجهها ذي القسمات الهادئة، ترتعش رموشها لأعلى وأسفل محركة رأسها يمنة ويسرة تبحث بين اللافتات المختلفة، حتى توقفت عند إحداهن، التقطت أنفاسها ثم دخلت العمارة: سلام عليكم مش عايزين مساعدة للدكتور؟ فسألتها العاملة عن مؤهلها، أخفضت رأسها وهي ترد بكلمات مقتضبة ثم انصرفت دون انتظارها الرد، لحظات وكانت أمام أحد المحال التجارية لتنصرف بعدها بثوانٍ إلى نقطة البداية، انتهى نهارها وهي تبحث عن تلك الوظيفة التي لا تعرف ما هي سوى أنها يجب أن تعمل، على الجانب الآخر تيقظ أخوتها الصغار كل منهم يبحث عن طعام، لكن ذلك الرغيف لم يكفِ أحد منهم، حتى لحقتهم جارتهم بالإفطار، فكانت عيونهم تفيض بالأسى فور رؤيتهم للطعام، لتعود اليهم نبيلة بالمساء بلا أي طعام ولا حتى عمل، فتتوسطهم ناظرة لوجوههم الصغيرة، فتنطلق كلماتها الحبيسة: مش عارفة أعملكوا ايه؟ أبوكوا وأمكوا مشوا من الدنيا بدرى، بدرى أوى، كبرونى شوية وسطهم وأول مابدأت أحس وأفهم سابونى معاكوا، لا تعليم ولا حتى فلوس، نفسي أكون الايد إلى ترفعكوا لفوق بس ازاي؟ ظلت ليلتها ساهرة حتى تصل إلى حل لمشكلتها الكبيرة، فمهما بحثت لن تجد، فهي لم تكمل تعليمها، فماذا ستعمل؟ دقائق من التفكير حتى زالت تلك الشريطة البيضاء أمام عينيها لتلوح لها تلك الفكرة الشيطانية، إنها لن تستطيع أن تعيش هي وأخواتها إلا بطريق غير مشروع بعالم لم يعد مشروع هو الآخر، فلم لا تجاور ذلك العالم المشوه حتى تستطيع العيش به، لكن ماذا ستفعل؟ أي طريق يقودني للنجاة من الفقر والجوع سأسلكه، فلقد جزعت من مرارة طريقي فليحدث ما يحدث

لكن غدًا يوم قريب، أغلقت عينها بعدما استوطن الشيطان عقلها، وبالصباح كانت لعينيها نظرة مختلفة عن البارحة، خرجت ككل صباح تدور وتلف هنا وهنا حتى تعبت وملت من الدوران بكل مكان، ارتادت الأتوبيس المتجه للحي الذي تقطن فيه، أثناء وقوفها سقطت عيناها على تلك الحقيبة بيد إحدى السيدات، لكنها عاودت النظر أمامها، خانتها عينها تلك المرة وهي تعيد النظر مجددًا للحقيبة، تصبب وجهها عرقًا وهي تقاوم ضعفها وجوعها، فلم تعد تمتلك أي نقود حتى تستطيع هي وأخوتها الحياة، تقدمت بهدوء وخطوات محسوبة جوار المرأة المقصودة بدأت تحرك أصابعها المرتعشة حتى فتحت الحقيبة وخلال دقائق نزلت نبيلة من الأتوبيس وهي ممسكة بمحفظة صغيرة، قلبت أوراقها بوحشية حتى وجدت أوراق نقود، انصرفت مسرعة للبيت شعرت نبيلة بسعادة بالغة في هذا اليوم لأول مرة منذ فترة من الزمن تدخل على أخواتها بالطعام الوفير الذي يكفيهم لأسابيع متتالية، شعرت بالرضا عن نفسها وهي ترد الجميل للدنيا باغتصاب حقها منها، حتى ولو ضد القانون الذي جردها من كل شيء حتى فرصة الحياة، مرت الليالي تباعًا، وبكل ليلة تجمع أخوتها يأكلون ويتسامرون، أصلحت لهم التلفاز، قدمت لهم بالمدارس وبدأت تتابع حياتهم حتى تلك الليلة التي هاجمها ذلك الرجل بمنامها: "مرتاحة يا نبيلة؟ نايمة مرتاحة يا نبيلة؟ فردت وهي تفرك بعينيها: مين أنت؟ مين؟ فرد عليها وكأنه ليس صوتًا لكنه صدى: مش عارفاني يا نبيلة مش فاكراني . فقالت وهي تدقق بملامحه: لأ مش فاكراك، أنت مين بالظبط؟ فقال لها: مش هقلك أنا مين؟ بس شوف ضوافرك معلمة فوشى ازاي، قربى شوفى . اقتربت نبيلة في خوف ثم نهضت من فراشها فَزِعة وهي تمسح وجهها، ظلت متيقظة تحاول التركيز قليلًا بوجه الرجل بالمنام، لكنها لم تصل لنتيجة بالأخير، بمساء اليوم التالي وبعد رحلة سرقة ناجحة استسلمت لفراشها من جديد لتغط بنوم عميق حتى عاد الصوت يراودها من جديد: ها أنت نمتي ولا ايه؟ فصرخت فور رؤيتها إياه: أنت مين يا راجل أنت؟ وعايز ايه مني؟ فقال لها: مش عايز حاجة منك إلا تشوفى ضوافرك عملت فيَّ ايه؟ فقالت وقد ملأتها العصبية: ضوافر ايه هو أنا

أعرفك عشان أقرب ناحيتك، أمشى بقى وسبنى في حالى . أخذت تبعده بيديها الاثنتين بعيدًا لكن صوته من بعيد أتاها: مش هسيبك يا نبيلة مش هسيبك .
تكررت أيامها، نهارها كله للسرقة من مكان لآخر، لكن ليلها لا يسكنه سوى ذلك الرجل، الذي أيقنت أنها يجب أن تفر منه بعدم النوم، حتى تلك اللحظة التي سقطت فيها من قلة النوم، ليهاجمها المرة بقوة مقتربًا من وجهها: ازاي يجيلك قلب تعملى فيَّ كده؟ فصرخت بقوة وهي تتمتم: أنت مين؟ عملت فيك ايه؟ قولى ريحنى، ريحنى أنا مش مرتاحة!
ظل ينظر لها بحسرة وعيون متسائلة حتى سار بعيدًا عنها، فقامت مثل كل ليلة تراه فيها، لكنها المرة جنت فصارت تتأوه بأصوات عالية، أخذت تكسر كل ما بالحجرة بطريقة غير طبيعية، حتى ارتمت بالأخير على أريكتها التي طالما تشعر براحتها عليها، هدأت لدقائق ثم عاودت التفكير مجددًا لقد اقترب منها كثيرًا ووضحت صورته: أنا عارفاه الرجل ده، أيوة شفته بس فين مش عارفة، يا رب ساعدنى أعرف مين ده، الحلم ده اتكرر لى كذا مرة، معناها في حاجة أو دي رسالة منك، بجد مش فاهمة حاجة يا رب .
رفعت عينها للسماء ثم أخفضت رأسها سريعًا وحدثت نفسها: يمكن أكون غلطت يا رب، بس مكنش قدامى حل تانى، لو عليَّ كانت سهلة، انما أخواتى دول مكانوش لاقين اللقمة، عارفة إنى مذنبة وغلطانة، بس معقول ده عقابك، ساعدنى يا رب أنت عارف مليش غيرك . لم تخرج نبيلة باليوم التالي، ظلت حبيسة المنزل وهي غير مدركة لشيء تفعله، أخذت تعيد ترتيب حجرتها التي قلبتها رأسًا على عقب، ثم فتحت الحقيبة التي تخفى فيها المحافظ التي تستولى عليها، استرجعتهم بعجالة ثم وضعتهم بالحقيبة وهمت بالخروج للمطبخ، لكنها عادت لتفرغ كل ما بالحقيبة حتى أمسكت إحداها ثم صرخت: هو الرجل ده، هو اللي في الحلم . أمسكت بطاقته دققت بملامحه حتى عنوانه عرفته، لتنصرف مسرعة إلى ذات عنوان البطاقة لعلها تجد غايتها وتستريح مما ألم بها، وصلت العنوان المطلوب سألت عن اسم صاحب البطاقة لتصعد درجًا طويلًا، وقفت أمام باب المنزل خائفة لكنها فوجئت بسيدات متلحفات بالسواد

لتلتقطها إحداهن: أنت جاية تعزي في الأستاذ صبحي؟ من هنا اتفضلى . تتبعت السيدة وهي تسير بخطوات بطيئة حتى سلمت على زوجته وجلست بالمقابل لها، سادت حالة من الهدوء حتى بدأت تسمع أطراف حديث من زوجته: كان راجع مبسوط إنه أخيرًا اتصرف في الفلوس اللي هتريحنا من الشيك اللي كان كتبه لصاحب البيت . فتعجبت أخرى: وبعدين ايه اللي حصل؟ فأكملت زوجته بغصة: لقيته راجع يومها قرب العصر كده ووشه أحمر وبينهج، يقلب في هدومه ويقول كنت شايل المحفظة في جيبى راحت فين؟ معقول وقعت مني؟ ده أنا مصدقت لقيت الفلوس .

أكملت: فساعتها لقيته بينهج وبيحمر أكتر ووقع مني مرجعش تانى . هنا أمسكت نبيلة رأسها، وهي تتذكر ذلك الموظف المنتشي بالأتوبيس، الذي كانت يتحدث فانتشلت محفظته وفرت هاربة دون أن يشعر، أحاسيس مختلفة تملكتها وهي بطريقها للمنزل، احساس بالذنب وشعور بالقتل لذلك الرجل المغلوب على أمره، ركضت دون أن تشعر خلعت حجابها المتطاير ثم وبطريقة جنونية ألقت بجسدها بالنيل لعلها تستريح من تلك الدنيا، التي لا تقسو سوى على الفقراء، بحياتهم يموتون فلم انتظار الموت البطيء .

شريط أغاني

خرج أمير لعمله مودعًا زوجته الجميلة، بينما ظلت دنيا متيقظة على فراشها تتلاعب بأصابعها على بطنها المنتفخ إلى حد كبير: شهر ونص وتبقى وسطنا في عائلتنا الصغيرة، حبيبي باباك أجمل وأحلى رجل بالدنيا، يا رب أنت تيجى شبهه مع إني كمان حلوة بس هو حاجة تانية، طول عمري بشوفه أجمل واحد، هو ابن عمى وكان مسافر هو وأهله، ولما رجعوا وأول ما عيني وقعت عليه حبيته، ومش حبيته بس عشقته لحد ما تجوزنا، واهو أنا حامل وربنا يرزقنا بيك يا حبيبى أجمل نعمة ورزق لينا .

ومع تسارع عقارب الساعة انتهت دنيا من تحضير الطعام، ثم عادت لتحدث صغيرها مجددًا: أمير اللي هو بابا يا روحي مكانش شكله كده، هو طبعًا اتغير للأحلى بس هو كان كمان جميل . وهنا برقت عينها مشعة بعلامات حب مضوية، أخذت تفكر ثم قالت: استنى استنى أنا هدور على صورة ليه، أكيد كان معايا هشوف كده . بدأت بالعبث في أشيائها، صور كثيرة لها أوراق، ثم قالت: عقد جوازنا اهو ياه كان يوم جميل، يوم كتب كتابى على أمير، كنت لابسة فستان بيج وهو كان لابس قميص أبيض وبنطلون جينز، امال فين صوره راحت فين؟ أدور في حاجته كده يمكن ألاقى حاجة، نفسي أشوف صوره القديمة شكله . ثم أكملت: أهى صور كتير لأمير حبيبي . وأخذت تتفحص الصور بحب وإعجاب، ثم تلتها صورة أخرى، فأخرى حتى انتهت من رؤية جميع الصور، ثم قالت: ايه ده؟ استنى، استنى ده كمان كان بيسمع شرايط كتير عمرو دياب الليلة دي، محمد فؤاد كبر الغرام، الله ده شريط قديم بس جميل أوى، تيجى نسمعه حاجة من ريحة باباك لحد ما يوصل بالسلامة .

وضعت الشريط في الجهاز ثم سمعت أغنية كبر الغرام كاملة وهي مستمتعة وإذا بصوت محمد فؤاد يختفي، ليأتي صوت أمير وهو يتحدث، فاعتدلت دنيا

بجلستها وهي تسمع حواره لشخص أمامه: طبعًا أنا حبيت أتكلم في الشريط ده، وبعد الأغنية دي عشان هي أغنية حبنا أنا أمير وجميلة، بعترف لك أهو إني بحبك، ومن كام سنة كمان، وفرحت قوي لما عرفت إنك بتبادليني نفس الشعور . أصيبت دنيا بالدهشة، وإذا بدقات قلبها تزداد، هل هذا حقيقي؟ هل أُغرم أمير بأخرى من قبل؟ فدمعت عيناها وهي تسمع الجزء الثاني من الشريط، وفيه تتحدث محبوبته جميلة فيه: كبر الغرام في القلب لكنى مشفتوش فعلا كبر حبك في قلبي يا أمير، وربنا يوفقنا مع بعض والشريط ده هو اعتراف مني ومنك بالحب، ومهما يحصلنا لازم نحتفظ به .

ودعت دنيا طفلها واستسلمت لدموعها، وأخذت تتذكر كيف كان حينما رأته أول مرة، بالفعل كان أنيقًا، لكنها تذكرت أيضًا أنه لم يلتفت لها، وأنها حاولت كثيرًا جذب انتباهه، حتى تمت خطبتهما، كيف كانت ضحكته بسمة، فقد كانت تراه سعيدًا لكنها بتلك اللحظة رأته متألمًا، ما أصعب انكسار الحب، أو الشعور بالوهم، حتى ولو دقائق فقد مرت عليها دقات الساعة، وكأنها ناقوس خطر يضرب حبها وبيتها، حتى دخل أمير مبتهجًا محتضنًا إياها بحب شديد، ليجدها مهمومة لكنها حاولت إخفاء مشاعرها، حتى انتهيا من تناول الطعام: اه يا أمير صحيح، وأنا بدور على صورك القديمة لقيت عندك حاجات كتير ملهاش لازمة، شفها كده حبيبى لو محتاجها . ذهبت وأحضرت كم كبير من الأوراق والشرائط فأخذ يقلب فيها: اه الورق ده ملوش لازمة عادي . وعندما بدأ بتصفح الأشرطة حتى وقع بصره على كبر الغرام فقال: أه الشريط ده . فقالت بصوت مدمع: ما له؟ فقال ناظرًا إياها: ملوش كان ذكرى لحاجة في حياتي . فقالت بقوة: يعني أسيبه ولا أرميه؟ فنظر للشريط طويلًا، ثم قال لدنيا مبتسمًا: ترميه ليه؟ تعالي نسمعه مع بعض . وبعد أن انتهيا من سماعه: دي كانت قصة حب في حياتي قبل ما اجى على مصر، كانت جارتنا في العمارة مصرية برضوا حبتها . وهنا غُرِسَت تلك الكلمة كسهم قوي بين أضلعها لكنها تابعت: كان بينا وعد إننا نفضل مع بعض، بس كنا صغيرين . فقالت وقد بدأت عينها تدمع مجددًا: وأنا عمرك ما حبتني ولا ايه؟ فقال لها وهو يبتسم: أنا هكمل لك أهو، طبعا في وقت

نزولنا حاولت أكلم بابا إنه يطلب لي ايدها، بس هو رفض وبعد إلحاح اتكلمت العيلتين، وفي الاخير قعدنا معاهم وحسبولنا السنين، واننا هنمشى لمصر وهما هيفضلوا، الدنيا اغمقت في عنينا ونزلنا، فضلت فترة طويلة تراسلني مكنش فيه موبيلات زي دلوقتى، بس بعدها يأسنا وفترت العلاقة ما بينا وانتهت القصة، يوم ما نزلت وشفتك كانت هي لسه جوايا، وفضلت فترة كبيرة كده لحد معرفتك كويس وحبيتك برضو . فقالت بغضب: يعني مقضيها أي واحدة . فقال محاولًا استيعاب غضبها: لا يا حبيبتي، بس في حاجة اسمها الحب الأول، وفيه كمان الحب الأخير، ممكن يكون الحب الأول هو الحب الأخير، وهو الحب الحقيقي لكن في حالتي الحب الحقيقي هو الحب الأخير، يعني حبك أنت يا دنيا، ومش ببالغ لو قلت لك إنك دنيتي فعلا كلها . فضحكت وقد عاد قلبها محله لتستقر عواطفها مجددًا وتستعيد حالة الحب التي تملكتها ثم قالت: أنت بقى حبي الأول والأخير، وكمان أنت حبي الكبير، ربنا يخليك ليا .
وبعد لحظات سألها: يعني ما قولتيش، هترمى الشريط؟ فقالت ممسكة إياه: لأ أبدًا هسيبه ذكرى تفتكر بيها الحاجات الحلوة بحياتك .

كبر الغرام، كبر الغرام
كان أولى بيا النوم لكنى صحيت
جربت أضحك عالليالي بكيت
كبر الغرام

للتواصل مع الكاتبه
facebook.com/ghada.ghodo

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub